الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة لمين دباغين سطيف 2

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم التاريخ و الآثار

مطبوعة الدعم البيداغوجي في مادة

علاقات الغرب الإسلامي مع السودان الغربي

مطبوعة موجهة لطلبة سنة الأولى ماستر تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

من إعداد الدكتور : بولعراس خميسي

السنة الجامعية 2021-2022

المحاضرة الأولى
جغرافية القارة الإفريقية

جامعة محمد لمين دباغين – سطيف -2-

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ والآثار

المحاضرة الأولى: جغرافية القارة الإفريقية

المقياس: علاقات الغرب الإسلامي مع السودان الغربي

التخصص: ماستر تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط

السنة: الأولى ماستر. **السداسي:** الثاني

المحاضرة: الأولى (01).

عنوان المحاضرة: جغرافية القارة الإفريقية

اسم ولقب ورتبة الأستاذ: خميسي بولعراس، أستاذ محاضر (أ)

البريد الالكتروني للأستاذ: boulaares213@gmail.com

محتوى المحاضرة:

1- المقدمة:

القارة الإفريقية هي إحدى قارات العالم التي تتميز بموقع جيواستراجي جد هام وغير مستبعد أن تكون مهد الإنسان الأول أو الوطن الأصلي له خصوصا وأن الدراسات والأبحاث العلمية بعد تطور عالم الأنثروبولوجيا وظهور الاكتشافات الحديثة في تنزانيا بشرق إفريقيا تؤكد ذلك، حيث عثر على أقدم جمجمة بشرية للانسان، لذلك يمكن القول أن هذه القارة و منذ الأزل كانت محط رحال هذا الكائن الحي ومسرحا لنشاطه ، لذلك كانت هذه البقعة من المعمورة محل انظار

الكثير من الشعوب والأفراد و بتنامي الثقافة والفكر وتطور الحضارات و ازدهار الاقتصاد، زاد الاهتمام و وتعمق أكثر بأقطار و شعوب هذه القارة.

لقد أدى هذا التنافس العالمي بين الدول الكبرى إلى البحث عن المعلومات والدراسات المتخصصة والبيانات والإحصاءات، والكتابات المتنوعة التي تكشف عن أسرار إفريقيا في جميع عصورها التاريخية لمعرفة طبيعتها الجغرافية والمناخية وتضاريسها المتعددة وإمكاناتها الاقتصادية ، لذلك عرفت القارة ومنذ القرن التاسع الهجري ، الخامس عشر ميلادي موجة من البعثات الاستكشافية التي أدت في النهاية إلى خضوع القارة للاستعمار الذي ما انفك يعمل على استنزاف خيراتها واستعباد شعوبها:

وحري بنا أن نستعرض أصول التسمية ثم نتطرق إلى جغرافية القارة – إذ من غير المعقول دراسة تاريخ منطقة دون الإلمام بجغرافيتها – عموما ومنطقة إفريقيا الإسلامية جنوب الصحراء خصوصا، باعتبارها المسرح الذي جرت على أديمه الأحداث التاريخية التي تتناولها مضامين المنهاج المقرر

2- محتوى المحاضرة:

- **أصل التسمية :**

يسمى هذا الجزء من العالم باللغة العربية إفريقيا وهو مشتق من الفعل فرق بمعنى فصل باللاتينية (Separavit) ، وهناك رأيان في أصل هذه التسمية ، يعتمد الرأي الأول على كون هذا الجزء من اليابس مفصولا عن أوروبا وآسيا ، ويذهب الرأي الثاني إلى أن الاسم مشتق من "افريقش "ملك اليمن الذي كان أول من سكن هذه البلاد بعد أن غلبه الملوك الآشوريون

وطردوه واجتاز النيل و تابع سيره مسرعا نحو الغرب حتى وصل ضواحي "قرطاج"، لذلك نرى العرب لا يكادون يعتبرون إفريقية سوى ضاحية من ضواحيها ، بينما يطلقون اسم المغرب على سائر إفريقيا.

الإسكان في إفريقيا:

يزعم الجغرافيون والمؤرخون القدماء أن إفريقيا في القديم كانت خالية من السكان باستثناء أرض السودان، ومن المؤكد لديهم أن بلاد البربر "ونوميديا "لم تكن كل منهما مسكونتين طوال عدة قرون، ويعرف سكانها البيض بالبربر ، وكلمة "بربر" " مشتقة حسب رأي بعضهم من الفعل العربي "برير" بمعنى "همس" ، لأن اللهجة الإفريقية كانت بمثابة أصوات مهمة وغامضة عند العرب، ويرى بعضهم الآخر أن " بربر ." مكرر "بر" الذي يعني الصحراء في اللغة العربية، ويحكي أن" افريقش " عندما غلبه الآشوريون والإثيوبيون فر إلى بلاد مصر، ولما وجد نفسه محاصرا وعاجزا عن مقاومة أعدائه استشار قومه في أي سبيل يسلكونه للنجاة ؟ فاجوه صار خون "البر، البر " أي إلى الصحراء وعبروا النيل إلى صحراء إفريقيا ، وهذا التفسير لكلمة "بربر" يتفق مع رأى من يقول أن أصل الأفارقة من اليمن.

أصل الأفارقة:

لم يختلف المؤرخون كثيرا في أصل الأفارقة ، فيرى البعض أنهم ينتمون إلى: الفلسطينيين الذين هاجروا إلى إفريقيا حين طردهم الآشوريون فأقاموا بها ، وحفزهم على ذلك جودة أراضيها وخصوبة تربتها، ويزعم آخرون أن أصلهم يرجع إلى السبئيين (أي الحميريين) الذين كانوا يعيشون في اليمن قبل طردهم

من قبل الآشوريين، بينما يدعي فريق ثالث أن الأفارقة كانوا يقطنون بعض جهات آسيا فحاربتهم شعوب معادية لهم هناك، ففروا منها إلى بلاد الإغؤيق الخالية حينذاك من السكان، ثم لاحتهم أعداؤهم فاضطروهم إلى عبور بحر" المورة " بالبلقان فاستقروا بإفريقيا. بينما استوطن أعداؤهم في بلاد الإغريق، هذا ما يتعلق بالأفارقة البيض القاطنين في شمال القرة (سكان نوميديا والبربر).

أما الأفارقة السود ، فإنهم من نسل" كوش بن حام بن نوح، ومهما اختلفت مظاهر الأفارقة بين بيضهم وسودهم فإنهم ينتمون تقريبا إلى نفس الأصل، ذلك أن البيض الأفارقة إنا قدموا فلسطين ، والفلسطينيون ينتمون إلى "مصرائيم بن كوش" وإما من بلاد سبا و"سبأ" بن هامة بن "كوش" وقد ذكر سبأ في التوراة، لكن السبئيين في القرآن هم رعايا "بلقيس" ملكة سيا اليمنية التي جاءت إلى النبي سليمان بن داود عليهما السالم وجاء ذكر ذلك في القران الكرم قال تعالى: **(فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبإ بنبإ يقين)** الآية 22 من سورة النمل وقال: **(لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفوري)** الآية 15 من سورة سبأ

وسبأ في الرواية العربية هو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان " وهو أول ملوك اليمن حوالي القرن العشرين قبل الميلاد، تفرق أبناؤه العشرة بعد " سيل العرم" فكانوا أصولا تفرع منهم سكان شبه الجزيرة العربية، وهناك افتراضات أخزى ذهب إليها مؤرخون آخرون لا يسع المقام لذكرها.

التعريف بالقارة الإفريقية:

تعد القارة الإفريقية ثان قارة من حيث المساحة بعد القارة الآسيوية (44 مليون كم) في حين تبلغ مساحة القارة الإفريقية 30.3 مليون كم أي نحو 20 % من مساحة الكرة الأرضية، وثلاثة أمثال مساحة أوروبا (10 مليون كم، وأكثر من مساحيتي أمريكا الشمالية وأوروبا مجتمعتين (20 مليون كم)، و تمتد على مسافة نحو 8000 كم من الشمال إلى الجنوب ، وبنفس التقدير تقريبا من الشرق إلى الغرب في قسمها الشمالي ، تنحصر بين دائرتي عرض 38° شمالا، و 35° جنوبا ، لذلك فإن قسما كبيرا منها يقع بين المدارين ، ويتميز نصف القارة الشمالي باتساع الأراضي الصحراوية ، كما أن أحوال المناخ المعتدلة تتركز في أقاصي القارة شمالا وجنوبا ، وبذلك فالقارة تتوفر على أقاليم مناخية ونباتية متنوعة ، ورغم وجود بعض المظاهر التضاريسية المختلفة ، فإن البناء . الجيولوجي للقارة يعد بسيطا وبعيدا عن التعقيد مقارنة ببناء باقي القارات الأخرى.

تحتل إفريقيا موقعا استراتيجيا على درجة كبيرة من الأهمية، فهي تتصل بقارة آسيا عن طريق شبه جزيرة سيناء المصرية، ولا يفصلها عن شبه جزيرة العرب سوى أخدود بحر القلزم (الأحمر) وبوغاز باب المندب، ويطل ساحلها الجنوبي الشرقي على المحيط الهندي الذي يربطها بجنوب شرق آسيا وجنوب شرقها، ولا يفصلها عن أوروبا سوى حوض البحر الأبيض المتوسط، وهي قريبة منها لا عند مضيق جزيرة صقلية، وتكاد تلامسها عند مضيق جبل طارق.

أما ساحلها الغربي فيطل على المحيط الأطلنطي، مما يسر لها الاتصال بالعالم الجديد، وقد زادت أهمية الموقع واستراتيجيته في العصور الحديثة سيما بعد شق قناة السويس التي قضت سير المسافة بين قارتي، آسيا وإفريقيا إلى النصف منذ افتتاحها عام 1869م. " يغلب على القارة السمراء السمة الزراعية، فهي غنية بالثروات الطبيعية السطحية منها والباطنية المتنوعة والتي غالبا ما يندر وجودها أو ينعدم في سواها من باقي القارات الأخرى، كما تحتل مراتب الصدارة في إنتاج جملة من المحاصيل مثلا 3/2 محصول الكاكاو العالمي، 4/3 إنتاج زيت النخيل وبالرغم من ضعف المسح الجيولوجي وتأخر التنقيب، فإن باطن القارة ما يزال يزخر بثروات معتبرة لم يستغل معظمها حتى الآن، إذ تنتج نحو 98 % من ماس العالم،و 55% من ذهبه و حوالي 22% من نحاسه، فضلا عما حباها الله به من ذهب أسود وعاز طبيعى و أورانيوم علاوة على ثروات طبيعية أخرى، فإن إفريقيا تتوفر على ثروة بشرية هائلة قدرت كما يأتي:

السنة	تقديرات ويلكوكس	تقديرات كارسوندرز	السنة	تقديرات الأمم المتحدة
1650	100	100	1920	136
1750	100	95	1930	155
1800	100	90	1940	177
1850	100	95	1950	199
1900	141	120	1960	254

344	1970	/	/	/
420	1977	/	/	/

وحدة القياس /مليون/ن

وقد بلغ العدد وفق إحصائيات 1995م 728 مليون نسمة، بزيادة تقدر بـ:2.8% أي حوالي مليار نسمة سنة 2005

ونتيجة لاتساع مساحة القارة وتنوع أقاليمها المناخية والنباتية، قيمها الجغرافيون تيسيرا لدراستها إلى خمس مناطق كبرى هي: شمال إفريقيا ، شرق إفريقيا، غرب إفريقيا، جنوب إفريقيا، وسط إفريقيا ورغم هذا التنوع الكبير وهذه الوفرة في الثروات المادية والبشرية ، فقد اعتبرها الغربيون مركز الفقر والبؤس والشقاء ومرتعا خصبا لمختلف الأمراض المعدية والأوبئة الفتاكة نتيجة الظروف المناخية والبيئية القاسية، والحق أن ما كتبه الغربيون عن إفريقيا يبرز بجلاء أن القارة كانت مجهولة. لديهم ولا يعرفون عن حقيقتها إلا النزر اليسير من المعلومات قبل الكشوفات الجغرافية على الأقل ، إذ ساد الاعتقاد لديهم زمنا طويلا أن داخل القارة خال من السكان ولا أثر لوجود الحياة البشرية به، وما يؤكد هذا ما ذهب إليه " هيرودوت " « Hirodot » في القرن الخامس قبل الميلاد إذ يقول: (لا يستطيع أحد أن يقول شيئا عما وراء القفار المملة، لأن القارة غير مأهولة بسبب شدة الحرارة التي لا تطاق، لذلك جاءت المعلومات عنها متضاربة ومشوبة بالخرافات والأساطير الغريبة التي تبعث الدهشة في النفوس، وتترك اللبس في الأذهان، وما زاد في توسيع الجهل وتعميقه عما يحيط بالقارة هو وجود النطاق الصحراوي الكبير والواسع الذي استمر لغزا محيرا

للأوروبيين حتى فترة متأخرة من التاريخ الحديث، هذا الحزام الكبير هو الصحراء الإفريقية الكبرى، فما هو هذا النطاق؟

- الصحراء الإفريقية الكبرى:

إن المعلومات والمعارف التي ساقها لنا الجغرافيون اليونان، والرومان قديما عن إفريقيا هي المعلومات التي كانت متوفرة لدينا فقط حتى وقت قريب عن هذا النطاق الفسيح من القارة فقد ذكر بطليموس في الفرن الثاني الميلادي كلمة ليبيا للدلالة على داخل القارة، وأطلق كلمة إثيوبيا « ethiopie » على منطقة جنوب مدار السرطان، أما الصحراء الكبرى فلم تكن واضحة المعالم لديهم.

إذن فكلمة الصحراء المتداولة اليوم لم تستعمل إلا حديثا، ودلت استعمالاتها المتعددة على أنها تشير إلى النطاق الواسع الممتد من بلاد الأمازيغ و إقليم البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى بلاد السودان جنوبا (دول الساحل اليوم)، دون تحديد دقيق.

والصحراء كلمة عربية تعني الأرض الجرداء ، لكن العرب الذين تواضعوا على إطلاق مصطلح كلمة الصحراء أطلقوها على أية بقعة جرداء رملية، وعند استعراض تعريف ابن منظور وابن شميل في "لسان العرب" فإن وصفهما للصحراء لا يمكن تعميمه وإطلاقه على الصحراء الإفريقية الكبرى، لأن هذه الأخيرة محل الدراسية – أي الصحراء الإفريقية الكبرى – تضم عددا من الواحات والتجمعات السكانية والمدن الجميلة.

وقبل الإسلام لم يستعمل العرب هذا المصطلح للدلالة على منطقة معينة أو حيزا محددا من اليابسة إلا بعد القرن الثالث الهجري، حيث استعملها اليعقوي

في وصف التربة التي يواري فيها الناس جثث موتاهم، كما ظهر المصطلح في نفس القرن في كتاب لابن عبد الحكم (غزو الشمال الإفريقي) ليعبر لأول مرة عن جزء من شمال إفريقيا، ثم راجت الكلمة بعد ذلك بين الجغرافيين والرحالة المسلمين في القرنين الخامس والسادس الهجريين، الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين سيما عند الإدريسنى والبكري، إذ يقول هذا الأخير: (أن الماء متوفر في الصحراء من وادي "درعة إلى وادي تارغا" وهو أول الصحراء ، ثم تمشي في الصحراء فتجد الماء على اليومين والثلاثة): ومن هنا يتضح أن الصحراء الإفريقية الكبري ليست كغيرها من الصحاري الأخرى، فهذه الأخيرة تتوفر على الواحات الضليلة وتتخللها آبار المياه العذبة على هوامش الطرق، وتتلقى كميات متفاوتة من الأمطار، وبذلك فهي تختلف عن صحراء شبه الجزيرة العربية وباقي صحاري المكسيك واستراليا.

أما الإدريسي فقد حدد الصحراء في خريطته ووضعها حيث هي الآن تقريبا، جاء بعده محمد بن الحسن الوزان المشهور باسم ليون الإفريقي في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي باعثا من جديد أسماء القدماء "ليبيا" و"نوميديا " ، غير أنه وفق إلى تحديد موقع الصحراء الإفريقية الكبرى ووضعها في النطاق الذي تتربع عليه اليوم.

تبلغ مساحة الصحراء الإفريقية الكبرى ثماية ملايين (8000) كم أي أكثر من ربع مساحة القارة وتشمل هذه الصحراء النصف الشمالي من إفريقيا، وتمتد على طول يقدر بنحو 5600 كم من المحيط الاطلنطي غربا إلى البحر الأحمر شرقا ، وبعرض يقدر بحوالي 1900 كم من الإقليم السوداني جنوبا حتى

سواحل البحر المتوسط وسلاسل جبال الأطلس الصحراوي شمالا، وتضم هذه الصحراء . الفسيحة الأرجاء اليوم أجزاء من المملكة العربية والصحراء الغربية وموريتانيا والقسم الجنوبي من الجزئر وأقصى الجنوب التونسي ومالي والنيجر وتشاد وليبيا ومصر وإثيوبيا والصومال وجيبوتي .

واطلب على الصحراء الإفريقية بطابع الانخفاض والاستواء والبساطة في التركيب، غير أن سطحها غير متجانس ففي جنوب شرق الجزائر و جنوبي كل من الجمهورية التونسية والجماهيرية الليبية تظهر بعض الهضاب والكتل الجبلية المرتفعة " الهقار "بالجزائر و تبستي المنتصبة بين جنوب ليبيا وشمال جمهورية تشاد، كما تظهر بعض المنخفضات دون مستوى سط البحر، ولذلك قسمها البعض من و الجغرافيين إلى قسمين اثنين:

الصحراء الشرقية (صحاري ليبيا) ويغلب عليها الطابع الصخري (الحمادة).

02 – الصحراء الغربية أو (الساحل):

سطحها رملي (الرق والعرق)، والأمطار في هذا النطاق جدد نادرة وهذا ما يترتب عنه مظاهر الشح والفقر في الكساء النباتي ويجعل عبء الحياة ثقيلا على الإنسان.

وإذا كان هذا المناخ هو السائد في الصحراء بوجه عام، فإن هوامشها الشمالية و الجنوبية ليست كذلك، إذ تتلقى كميات مختارة من الأمطار فتظهر عليها الحياة النباتية و الحيوانية.

ورغم صعوبة التضاريس والمناخ فإن المنطقة كانت ومازالت موطنا للإنسان، وهذا ما دلت عليه الاشتراطات الانثربولوجية و أكدت أن الإنسان كان يعيش

في الصحراء منذ أزمنة موغلة في القدم وكان يتبادل المنافع مع جبيرانه من خارج الصحراء وذلك عبر القوافل التجارية، ويذكر ابن حوقل التاجر والجغرافي المغربي (362هـ/977م) الذي أقام بمدينة " أودغشت " أواخر النصف الأول من القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي، عن الثراء الذي بلغه التجار نتيجة التبادل التجاري بين شمال الصحراء وجنوبها وفي القرن 5هـ، 11 الميلادي، بسط المرابطون نفوذهم على المنطقة فزادت القبائل البربرية انتشارا في طول الصحراء و عرضها.

و الحق أن العرب المسلمين كانوا قد توغلوا في الصحراء منذ القرن الأول الهجري (07م) إذ وصلوا إلى فزان جنوب ليبيا اليوم ملتمسين طريقهم إلى الصحراء دافعين أمامهم قبائل بربرية، كما كان لطرد العرب المسلمين من الأندلس نصيب في انتشار العربي في الصحراء، كما دعمت الهجرات العربية في نهاية القرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر الميلادي هذا الانتشار رسميا أثناء غزو السعديين لمنطقة السودان.

السودان وأقسامه:

أول من أطلق لفظ السودان هم العرب المسلمون على الأقوام التي كانت تعمر جنوب الصحراء كما سموا بلادهم بلاد السودان، ويبدوا ان التسمية استوحوها من لون البشرة وقسموا البلاد إلى ثلاثة أقسام.

السودان الغربي: ويضم نطاقا واسعا يشمل كل حوض نهر "السنغال" الآن و "غامبيا"و بوركينا فاسو مالي والنيجر الغربي والأرسطي إلى القرب من خط طول (10°) شرقا الملامس لجبال الهقار الشرقية بالجزائر.

- **السودان الأوسط:** ويضم المناطق المتاحة البحيرة (تشاد) و اجزا من الدول الآتية حاليا مثل النيجر الشرقي، نيجيريا، الكاميرون ، وأجزاء من إفريقيا الوسطى

السودان الشرقي: ويشمل مجرى نهر النيل وروافده حتى جنوب بلاد النوبة.

كما أطلق المسلمون على هذا القسم بلاد (الزنج) و بين القرنين التاني والثالث الهجريين، الثامن والتاسع الميلاديين إلا أن كلمة السودان لازمته أيضا.

وإذا ما يحتنا المفهوم الاصطلاحي الكلمة السودان من الناحية الجغرافية عند العرب المسلمين نجده يمتد من بداية الصحراء المغاربية شمالا، ويمتد إلى من عرض (10°) شمال خط الاستواء ، آما سن حيث الطول فيتد من المحيط الأطلنطى غربا إلى المحيط الهندي والبحر الاحمر شرقا.

المجال الجغرافي للدول الإسلامية جنوب الصحراء: تنقسم منطقة إفريقيا جنوب الصحراء التي نحن بصدد التركيز على دراستها باعتبارها المجال الذي ظهرت على أديمه الدول الإسلامية قديمة و التي كانت مسرحا لنشاط شخصيات إصلاحية إسلامية " أفضى نشاطها العلمي والإصلاحي العملي إلى بعث دول إسلامية في العصر الحديث إلى ثلاثة أقسام:

1- غرب إفريقيا : يحد هذا النطاق المحيط الأطلنطي من الغرب والجنوب الغربي، ومن الجنوب نطاق الغابة الاستوائية الكثيفة، ومن الشمال الصحراء الإفريقية الكبرى، أما من الشرق فليس من السهل ضبط حدوده ضبطا دقيقا، ذلك لخلو المنطقة من وجود حواجز طبيعية يمكن اعتبارها معالم فاصلة ، لذلك حدد بخط وهمي يكاد ينطبق على الحدود الشرقية بجمهورية نيجريا حاليا. .

وهذا النطاق تخترقه شبكة هدروغرافية لعبت دورها في تاريخ تلك البلاد، وتضم هذه الشبكة النهرية نهر النيجر ونهر السنغال ونهر غامبيا وغيرها من الأنهار الأخرى. وقد ظلت مشكلة الفصل بين نهري: السنغال و النيجر ومعرفة هذا الأخير معرفة دقيقة قائمة حتى القرن الرابع عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، إذ تمكن الإنجليز من استجلاء حقيقة هذا النهر الذي ساعد على اكتشاف دواخل القارة وبدأ السباق المحموم بين الفرنسيين والإنجليز على استعمارالقارة ، والدور الذي لعبه نهر النيجر قام به نهر السنغال ، وبالإضافة إلى هذين النهرين هناك نهر غامبيا ونهر سالوم و الكازمنس وهي كلها صالحة للملاحة عكس الأنهار التي تصب في منطقة خليج غينيا فإن غالبها أفار ضحلة غير صالحة للملاحة خصوصا عند مصباها بفعل الكثبان الرملية و الحواجز الصخرية.

ولم تكن هذه الأنهار الأخيرة ذات أهمية كبيرة بالنسبة للكشف الجغرافي، إذ أن مصباها تنتهي بدالات متعددة الفروع والمستنقعات، أو عبارة عن مساقط مائية لذلك كان الكشف عن منابعها عن طريق البر، وتضم المنطقة أكبر تجمع سكان في إفريقيا جنوب الصحراء ومناخها أكثر اعتدالا على السواحل المطلة على الأطلنطي، ويمارس سكانها الزراعة والرعي علاوة على التجارة.

2- وسط إفريقيا: تتجاوز مساحته الكلية 4 ملايين كم ويضم مجموعة من الدول الكونغو الديمقراطية (زائير سابقا)، والكونغو، الغابون، جمهورية إفريقيا الوسطى، والكاميرون وتشاد وغينيا الاستوائية، وأبرز معالم هذا النطاق هو حوض الكونغو الذي تحده من الشمال هضاب (أوبانغي) (Oubangui) وهي

مسطحات واسعة تتخللها بعض التلال، ويطل شمال هذه المصاب بدوره عالى حوض (تشاد)، وهذه الأخيرة كانت مهدا لممالك إسلامية قوية و حركات إصلاحية فاعلة – وبلاد تشاد أرضها خصبة وتوجد بها منطقة (با جرمى) جنوب البحيرة وتنمو بالإقليم الحشائش الطويلة في الجنوب: و تقصر و تقل تدريجيا كلما اتجهنا شمالا، كذلك كانت المنطقة مزدحمة بالسكان وتجري بها أنهار مثل (لوجون) (شاري) (السلامات)، و بقدر ما كانت هذه الأنهار مهمة وميسورة الملاحة بالنسبة للإنسان التشادي فقد كانت مسلكا سهل ايسر في غزو البلاد.

أما النشاط الاقتصادي فيغلب عليه طابع الزراعة والرعي ، أدخل عليهما الاستعمار الأوروبي بعض التطورات خدمة لمصالحه (البن، الأرز، الكاكاو، القطن) بالإضافة إلى استخراج الملح.

3- شرق إفريقيا: يشغل هذا النطاق الجزء الجنوبي لما كان يسمى بالسودان الشرقي و جنوب بلاد النوبة عند العرب المسلمين ، أما التقسيم الحديث فيحصر المنطقة في ما بين بحيرة (نياسا) (niasse) جنوبا، والبحر الأحمر في الشمال والشمال الشرقي، والمحيط الهندي في الشرق، ومن الغرب دولة الكونغو الديمقراطية، وضم مجموعة من الدول ، وهذه المنطقة هي أكثر المناطق ارتفاعا في القارة وتنوعا في المناخ . وما يهمنا في هذه المنطقة بلدان هي السودان والصومال باعتبارهما نطاقان هامان لانتشار العروبة والإسلام وبروز حركات إصلاحية هامة بهما وهذان البلدان يتوافران على ثروات زراعية معتبرة، لذلك استقطبا التفات واهتمام القوى الإستعمارية الكبرى في العصر

الحديث، لذا قامت بها حركات إصلاحية حملت على عاتقها مقاومة الاستعمار أهمها حركة محمد أحمد المهدي وحركة محمد بن عبد الله حسن وخلاصة القول: أن القارة السمراء التي استهوت. الشعوب كانت منذ القدم محل غزوات عديدة و ميدان صراع بين أمم كثيرة ومهد حضارات عريقة، ونظرا لما تزخر به من خيرات وفيرة و ثروات متنوعة كانت محط أطماع الشعوب والأمم سيما في العصر الحديث، فتعرضت ثرواتها للنهب والاستنزاف، كما خضعت شعوبها للاستغلال الفاحش ونشر المفاسد الخلقية الغريبة عنها ومورست عليها تجارة الرقيق واصطياد الرجل الأسود، وهي الظاهرة الأكثر بشاعة التي أدانها الإسلام وأضعف استمراريتها في المجتمعات الإسلامية قبل أن ترفع شعاراتها وتدعوا إليها المنظمات العالمية وجمعيات حقوق الإنسان.

والحق أن الأفارقة لم يرفضوا الحضارة الأوروبية برمتها جملة وتفصيلا إنما أخذوا ما يناسب شخصيتهم وثقافتهم الوطنية الأصيلة ولذلك نلاحظ عدم تأثر الأفارقة في مناطق شاسعة من القارة بالحضارة الغربية قدر تأثرهم بالحضارة العربية الإسلامية التي صارت جزء من تاريخهم وحضار تهم، لذلك اتضح للمستعمرين أن الاكتشافات الجغرافية والاستعمار في مجاهل القارة ليس سوى عملا سطحيا بالقياس إلى الكشف على تاريخهم وحضاراتهم ومعتقداتهم وأخلاقهم، لذلك أسرع الباحثون منهم يتنافسون في ميادين البحث النفسي والاجتماعي والدين الأفارقة فأنشأوا مراكز وفروعا في جامعاتهم خاصة بالإنسان والشؤون الإفريقية لمعرفة عمق وكنه النفسية الإفريقية وبالتالي استمرار الهيمنة

والسيطرة على القارة في جميع مناحي حياتها والتي مازالت تعاني منها حتى اليوم رغم استقلالها سياسيا.

خاتمة:

أن الصحراء الإفريقية الكبرى مثل إقليما طبيعيا واسعا يشغل معظم مساحة إفريقا الشمالية العربية منها والوسطى والشرقية، أي من صحراء (شنقيط) موريتانيا الحاليه غربا الى صحراء مصر شرقا، ومن سواحل الجماهيرية الليبية شمالا إلى منخفض جمهورية تشاد جنوبا.

وما تجدر الاشارة إليه أن هذه الصحراء لم تكن كما هي عليه اليوم بل كانت في القرون الخمسة السابقة الميلاد تتلقي كميات معتبرة من الأمطار (العصور المطيرة) كما كانت أهلة بالبحيرات، السباسب، يعيش فيها التمساح، والفيلة، ووحيد القرن، والأسد ، والحمار الوحشي والزواحف والطيور، ثم أخذ الجفاف يزحف تدريجيا في عصور ما بعد الميلاد مما أدى إلى انقراض بعض الحيوانات ورحيلها كما تلاشت البحيرات التي لم يبق منها سوى بحيرة تشاد، أما الغطاء النباتي فحدث ولا حرج.

هذا النطاق الصعب ، لم يشق على الإسلام كدين، ولا على المسلم كتاجر وداعية و معلم من اختراقه فنشر تعاليم الإسلام واللغة العربية و الثقافة الإسلامية، فارتقت المجتمعات الإفريقية وتمكنت من إنشاء ممالك ودول وإمبراطوريات راقية أبهرت الرحالة والمستكشفون الأوروبيون في العصور الحديثة.

المحاضرة الثانية

السلالات و اللغات الإفريقية

جامعة محمد لمين دباغين – سطيف –2–

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ والآثار

المحاضرة الثانية: السلالات واللغات الإفريقية

المقياس: علاقات الغرب الإسلامي مع السودان الغربي

التخصص: ماستر تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط

السنة: الأولى ماستر. **السداسي:** الثاني

المحاضرة: الثانية (02).

عنوان المحاضرة: السلالات واللغات الإفريقية

اسم ولقب ورتبة الأستاذ: خميسي بولعراس، أستاذ محاضر (أ)

البريد الالكتروني للأستاذ: boulaares213@gmail.com

محتوى المحاضرة:

أولا : السلالات

يسكن القارة الإفريقية نحو 728 مليون نسمة، وهذا العدد لا ينتمي لسلالة واحدة بل بتوزع، على جملة السلاسلات المتعددة والمتنوعة، أبرزها: السلالة الزنجية وهي الأكبر من حيث الكثرة العددية، وتنتشر على مساحة واسعة من القارة تضم الغابة الاستوائية و مناطق السفانا الواسعة، أما باقي السلالات فتتوزع إلى الشمال والجنوب من تمركز السلالة الزنجية.

و الراجح أن شمال شرق إفريقيا وجنوب غرب القارة الآسيوية هما الموطن الأصلي الأول لسلالات الشعوب الإفريقية، كما أن هذه الأقاليم كانت في

الماضي السحيق حيث ظهر الإنسان – تتميز بغزارة التساقط ووفرة الحياة النباتية والحيوانية و بالتالي كانت بيئة صالحة لحياة الإنسان ومعيشته ، ومن هذا الموطن الرئيس انتشر الإنسان في كامل أنحاء المعمورة عبر منافذ متعددة ومسالك كثيرة.

نعم لقد امتزجت السلالات الإفريقية ببعضها البعض سيما في نطاق السفانا السودانية نتيجة احتكاك السلالات و تعايشها معا في محيط واحد، ومن هنا يصعب القول أن هناك سلالات نقية ومع هذا فالاختلافات السلالية تمكننا من تقسيم سكان القارة السمراء إلى السلالات الرئيسية الآتية:

01 – الأقزام (Les pygmees): وهم كما تدل عليهم تسميتهم قصار القامة إذ لا يتجاوز طول القد عند القزم النقي ينحو 130 سم غير أنه يزداد قليلا عند الذين اختلطوا بالزنوج، والمرأة أقل من الرجل بنحر 10 سم والأطراف عند الجنسين غير متناسقة ، فالدراعان طويلان مع قصر في الأرجل، و متوسط الوزن 40 كغ ولون البشرة أسود يميل إلى الصفرة، والفك الأعلى بارز، ويعيش الأقزام في الغابة الاستوائية متفرقين في: ثلاث مجموعات هي:

أ– **الأقزام الشرقيون أو البامبوتي .(Bambouti):** أي رجال الغابة وهم الآكا (Aka)و الإيفي eve والبازوا (Basu).

ب– أقزام المنطقة الوسطى: وهم الباكوا (bacowa) ويقطنون المناطق المتاخمة لروافد نهر الكونغو اليسرى، وجماعة البابنغا (Babinga) وتركز في أوبا نغي شاري (جمهورية إفريقيا الوسطى حاليا) وجماعة السانغا (Sanga).

ج- الأقزام الغربيون : و يسكنون الغابون (Gabon) وهم الأكوا (Akwa والبابونجو Baboungou) والبيكوي (Bkwi) علاوة على جماعة أخرى تقطن منطقة الكاميرون وهم الباكا و الباجيللي.

ويتفرق الأقزام في مجموعات صغيرة تتراوح بين 50-100 شخص، ويحترفون الجمع و القنص والصيد، و يسكنون في أكواخ مخروطية الشكل، ويتبادل الأقزام مع الزنوج المحاورين لهم منتجات الصيد بالمحاصيل الزراعية ويعرف بالتبادل الصامت الأمر الذي جعل الدارسين يعتقدون أن الأقزام ليست لهم لغة، وقد تعلم بعضهم لغة الزنوج المجاورين لهم، ويعترف الأقزام بالملكية الفردية الخاصة، والزعامة والقيادة متوارثة عندهم أب عن جده.

2- البوشمن "Les Bochimans" أقدم جماعة ظهرت في إفريقيا الجنوبية ، كانوا يشغلون المنطقة التي تقع جنوب نه الزمبيزي ثم نزحوا إلى صحراء كالاهاري حيث يتواجدون حاليا، ولهم لغة خاصة بهم وهم أقزام قصار القامةإذ يتراوح طولهم حوالي 150 سم والأطراف

نحيلة والعجز بارز، جدا وكذا عظام الوجنتين و العيون ضيقة و الأنف أفطس أما البشرة فهي بنية تميل إلى الصفرة

يعيش البوشمن على صيد الحيوانات البرية بالقسي والسهام المسمومة، يتقوقعون على أنفسهم ويفضلون العزلة لذا مستواهم الحضاري منخفض جدا ويتوزع البوشمن في جماعات صغيرة لا يتعدى عدد أفراد الجماعة الواحدة عشرة أفراد لكنهم قد يحتشدون عند الضرورة ولأغراض معينة كالاشتراك في الصيد مثلا.

ولا يزيد تعدادهم حسب الإحصائيات الأحيرة عن 7500 نسمة، وأمام الضغط لجأوا إلى مستنقعات سهول جنوب غرب إفريقيا و"أنغولا"، ولا يحترفون الزراعة ولا تربية المواشي والكلب هو الحيوان الأهلي لديهم، اما النساء فيقمن بأعمال الجمع والالتقاط، والاواني الفخارية مفقودة عندهم وتتزيم نساؤهم بالحالي المصفولة المصنوعة من كلس بيض النعام والخرز والحلقات النحاسية.

وما يمكن قوله عن هذه الماعة أن قسوة الطبيعة وشطف العيش وظروف الصعبة فضلا عن نقص الطرائد أجبرهم على إتباع نظام غذائي نباتي معرض للزوال، وكل ما ذكرناه يضاف إليه عدم تكيفهم وتبنيهم لنظام حياة جديد جعل البوشمن مهددين بالانقراض.

3- الهوتنتوت أو الهوتنتوس "Les Hottentots":

يرتبط اسم هذه المجموعة بالبوشمن في المؤلفات العلمية وتظهر القرابة بين المجموعتين في السلالة واللغة أكثر منها في الحضارة المادة، وينقسم الهوتنتوت بحسب اللغة إلى أربع مجموعات رئيسية هي: الناما " NAMA" الغونا "Gouna" الكورانا " Courana" والهتنتوت القدماء Les ancienrs Hottentots في إقليم الكاب وهؤلاء الأخيرين اختفت مع معالمهم اليوم إذ اندمجوا بالأوروبيين والهندوكيين وشكلوا قبائل الغريكا Guriqua والباستاردز "Bastards" ويرى سيجلمان Sighemen أن الدماء الحامية تجري في عروقهم وربما يرجع ذلك إلى أنهم قد اختلطوا يعناصر زنجية في الموطن الأصلي قبل هجرتهم إلى الصحراء والهتنتوت يمارسون حرفة الرعي ونساؤهم هن اللائي يقمن بجلب البقر وهذا أمر غريب ومستهجن عند مربوا الحيوانات

في إفريقيا الشرقية أما الثيران فتستخدم في الأشغال الفلاحية كما تستخدم لركوب أيضا.

أما غذاء هذه المجموعة فهو الحليب الطازج والحبوب وجذور النباتات، أما اللحم فلا يؤكل إلا في المناسبات والأعياد، وأكواخهم أرقى من أكواخ البوشمن، أما تنظيمهم الاجتماعي فأقل تعقيدا من تنظيم البوشمن أيضا ويتزعم القبيلة زعيم واحد هو زعيم أقدم عشيرة فيها.

أما من حيث المعتقد فقد عرف الهتنتوت إلها سماويا واحدا يسمى تزوي غواب "Tezoui Gouab" وهو الذي يسير العواصف والأمطار الغزيرة حسب اعتقادهم، أما طقوس الدفن عند الهوتنتوت فيلف جسد الميت بالجلد ثم تدفن الجثة وهي تجلس القرفصاء ووجها نحو الشرق، كما ان بعض قبائل هذه المجموعة الناما" يجتمع أفرادها للاحتفال السنوي بالأمطار ويقدمون القرابين والأضاحي بالأإنام السمينة في سبيل الخصب والتماس حصول الخير الكثير حسب اعتقادهم.

4- الزنوج "Les Negroes":

تبدأ إفريقيا السوداء من جنوب الصحراء الكبرى وإثيوبيا وتضم 3/5 من سكان إفريقيا وما يعادل 3/4 زنوج المعمورة، ولكن مصطلح الزنوج يتضمن شعوبا مختلفة ومتنوعة والكثير منها اختلط بالدماء ويمكن تقسيم الزنوج أقسام رئيسة وهي:

أ- **الزنوج الحقيقيون " Les Veraits Négtoes"** وينحصرون بين نهر السنغال وبلاد الكامرون شرقا، والراجح أن أنقى أنواع الزنوج يتركز على امتداد

ساحل غينيا، ويتميزون بطول القامة والبشرة السوداء والشعر الحلزوني المفلفل والشفاه الغليظة والأنف الأفطس، ويخضعون لعدد كبير ومتنوع من النظم القبلية المتعددة التي تجمعها قواسم ثقافية مشتركة كالمسكم ذي السقف الهرمي، وأنواع الأسلحة المتشابهة، والطقوس الغامضة، والاستعداد للتضحية فضلا عن رهافة الإحساس الفني... وهذه الشعوب أنشأت ممالك قوية واسعة الأرجاء مثل ممالك الأشانتي "Achanti" ويوربا "Youruba" والولوغ "Wolof".

ب- زنوج السودان " Les Négroes Du sudan": " يتركز هؤلاء في نطاق السافانا الممتد بين إقليم كردفان في الشرق (جنوب غرب السودان الغربي اليوم) إلى بلاد السنغال غربا، وهم أكثر الشعوب سوادا وأطول قامة، وشفاههم أكثر غلظة وعظام الذقن والوجنتين بروزا، وتبدو الدماء الحامية واضحة، كما تجد الوحدات القبلية ضخمة لا تحصى عددا، ومع ذلك فقد استطاعت إمارات الفولاني أو الفولا " Fulani" وممالك الحوصا أو الهوسا " Hausa" القوية أن تطهر هذه القبائل في بوتقة واحدة وتسود معظم نطاق أراضي زنوج السودان الغربي من نزح الكثير بين الزنوج الذين يعمرون معظم الصحراء الككبرى.

ج- زنوج البانتو "Banto" ويحملون نفس الصفات الزنجية السالفة الذكر، لكن التأثير الحامي أبلغ وضوحا سيما في منطقة البحيرات الإستوائية والأخدود الشرقي حتى وسط تنجانيقا (تنزانيا) وتأثروا بالعرب الساميين على ساحل إفريقيا الشرقية، كما أنهم امتزجوا في الجنوب بالبوشمن والهوتنتوت، أما اللغة فيتكلم البانتو لغة واحدة بلهجات متعددة، وهم وعاة وماشية والنساء يمارسن الأعمال الزراعية، ومن هنا فالتبادل التجاري محدود ما عدا في المناطق المزدحمة

بالسكان كتخوم فيكتوريا " Victoria"، حيث تسود زراعة المحاصيل كالقطن مثلا.

وأما الغذاء الأساسي لهذه الشعوب فهو الحليب ومشتقاته، وأما الغذاء النباتي فينظر إليه بإشمئزاز على اعتبار أن به شيء من النجاسة لذلك فتناوله يكون مسبوقا ومتبوعا بالصيام تظهيرا للبدن حسب معتقداتهم، ويختلف زي لباس البانتو بين الرجل والمرأة فالرجال عراة الأجساد، بيد أن النساء يرتديون رداء من الجلد محلى بالآلى والحلي المصنوعة من النحاس الأصفر، كما تصنع منه الأقراط والأعقدة التي تزين الآذان والرقاب أيضا، ويسكن هؤلاء في قرى تشيد جدران مساكنها الدائرية الشكل من اللبن المصنوع من التراب، وتغطى سقوفها بالقش، وأما تنظيماتهم الاجتماعية فهي تختلف بين القبيلة والأخرى، وأهم قبائل الشيلوك " Chilok" والنوير " Nouir"، والدنكا " Denka" ويتركز هؤلاء في الشمال والساحل، أما منطقة البحيرات فيتركز فيها الماساي " Masay" والسوك "Sook" وهؤلاء الآخرين أرقى إذ كانوا يختتون أبناءهم قبل سن السابعة من عمرهم، كما أن سن الزواج عندهم يكون عند حدود الثلاثين سنة عند الرجل ودونها عند المرأة.

وبالإضافة إلى هذه القبائل هناك قبائل البانيورو "Banyouro" الذي كان ملكهم يتمتع بالسلطة المطلقة، وأقرباءه من حوله يقومون مقام الوزراء، وغير ان نظام الوراثة في الحكم كان مفقودا، لذلك كان موت الملك يفتح عهدا من الفوضى بين أبناء الملك الراحل، أما ما يتعلق بالمعتقدات الدينية فقد كان البنيورو يمارسون طقوسا دينية غامضة.

والحق ان قبائل شرق إفريقيا متأثرة إلى حد بعيد بالشعوب التي تحتك بها مثل العرب والفرس وسكان جنوب وجنوب شرقي آسيا، كما تأثروا في العصور الحديثة بالأوروبيين البرتغاليين منهم.

د- زنوج النيل " Les Négroes Niliens": وهم يتمتعون بخصوصيات فريدة فهم عمالقة تتراوح أطوال قاماتهم بين 180 سم – 200 ونحافة أجسادهم وشدة سواد بشرتهم، كما أن سيقانهم طويلة ونحيلة، والأنف أضيق من أنف زنوج السودان وكذا الشفاه أقل غلظة ونساؤهم أقل طولا، ويسكن هؤلاء الزنوج أعالي نهر النيل جنوب السودان وفي اوغندا وكينيا وغرب إثيوبيا.

ويمثل سكان السودان هذه السلالة خير تمثيل وأهم قبائلها "شيلوك السودان، والنكا، والنوير" وتظهر هذه القبائل بشكل أخر أي بشيء من الاختلاف في جمهورية تشاد جنوبا، وفي شمال أوغندا وشرقها.

5- القوقازيون "Les coquaziens":

تنتشر هذه السلالات في شمال إفريقيا وشرقها وفي هضبة الحبشة، والقوفازيون في القارة يتفرعون إلى فرعين هما: المجموع الحامية والمجموعة السامية.

أ- المجموعة الحامية: وشعوبها بيضاء يرجح أنها هاجرت من موطنها الأصلي- حول البحر الأبيض المتوسط – إلى الشمال الإفريقي، وهم قبائل بدو محاربون شجعان يعتدون بأنفسهم ويتميزون بالأنفة والإباء، كان لهم تأثير بالغ الأهمية في تاريخ القارة الإفريقية، فقد اتجهوا جنوبا في هجراتهم فالتقوا بالزنوج والبوشمن واحتكوا بهم واختلطوا اختلاطا كبيرا وأنشأ هؤلاء الحاميون دولا إفريقية كبيرة، ويرجح أن الحاميين مجموعة لغوية، بيد أنهم عموما يتميزون بمميزات

خاصة كطول القامة والبشرة البيضاء المشرقة والوجه الضيق والأنف المستقبيم والشعر الداكن المتموج وهم ينقسمون قسمين:

1- الحاميون الشماليون: ويشكلون البربر بليبا والمغرب والصحراء الكبرى وحجماعة القولاني بالسودان الغربي.

2- الحاميون الشرقيون: ويشمل هذا القسم كل من المصريين والبحة والصوماليين والكثير من سكان إثيوبيا. والحق أنه رغم التشابه الكبير في الصفات الرئيسية العامة لكلا الفرعين، إلا أننا لا نعجب حينما نرى التنوع والتباين في الصفات الطبيعية لشعوب هذين الفرعين.

ب- الساميون: وهم العرب الوافدون إلى شمال إفريقيا من الشرق في القرن الأول الهجري، السابع الميلادي، ونشروا معهم اللغة العربية وآدابها والدين الإسلامي وثقافته، ونظرا لسماحة الإسلام امتزج هؤلاء العرب بالسكان الأصليين (البربر) امتزاجا كبيرا حتى أصبح من الصعب فرز هذا عن ذلك وصار من المستحيل التمييز بين الطرفين بالصفات الجسمية، فأصبحت كلمة عربي تدل على المسلم أو على مواطن من شمال إفريقيا وبذلك أصبحت تعبيرا ثقافيا أكثر منه تعبيرا عن سلالة ولم يتمسك العرب بحياة واحدة، فمع العلم ان الفاتحين الأوائل كانوا في الغالب الأعم بدو رعاة فإن أحفادهم صاروا حضرا وزراع وتجار نشيطين في ساحل إفريقيا سيما الشرقي منه ولعبوا دورا كبيرا في إخضاعه عبر القرون ، ولا شك أنهم تركوا آثارا سلالية في التركيب الجنسي واللغوي لسكانه وخير مثال على ذلك السواحليون ولغتهم.

ثانيا- اللغات الإفريقية:

إفريقيا معقدة وشديدة التركيب من الناحية اللغوية ففي إفريقيا ما يربو على 800 لغة منفصلة يتفاوت عدد من يتكلم كلا منها تفاوتا عظيما.

ففي زئير مثلا يتكلم السكان حوالي 500 لغة 80% من سلالة البنتو، ولغات أخرى يتكلمها سكان شمالها فضلا عن لغات الأقزام الذين لهم لغات خاصة بهم ويرجع ذلك إلى العزلة بسبب الطبيعة من جهة والعادات والتقاليد من جهة ثانية.

وهناك لغات تتعدى النطاقات المحلية مثل اللغة الأمهرية- باللغة الرسمية لإثيوبيا- واللغة السواحلية 45% منها مفردات عربية وتنتشر هذه اللغة في شرق إفريقيا

ولغة الهوصا ويتكلمها سكان غرب القارة وهي بدورها متأثرة باللغة العربية أيضا، ثم اللغة الإفريكانية "Afrikaans" التي تنتشر في جنوب إفريقيا.

وبالإضافة إلى اللغات السالفة الذكر هناك اللغة العربية، واللغتين الإفرنجيتين الداخلتين على القارة وهما اللغة الفرنسية والإنجليزية وهذه اللغات الأخيرة أخذت في الانتشار بالتدرج كلغات تخاطب فيج هات ورسمية في جهات أخرى.

وقد بدأ الاهتمام بدراسة اللغات الإفريقية لمعرفة ثقافات القارة ودياناتها وعاداتها وتقاليدها للبحث عن كنوزها، وقد اقترح الأستاذ جرين بيرج " Guerin Bergue" تقسيما يتكون من اثني عشر مجموعة لغوية واضحة الفوارق، منها خمس مجموعات تتكلمها الأغلبية الساحقة من سكان القارة يمكن عن طريقها الاستدلال على المجموعات الثقافية.

المحاضرة الثالثة

العادات والمعتقدات الشائعة

في المجتمع الإفريقي قبيل ظهور الإسلام

جامعة محمد لمين دباغين – سطيف -2-

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ والاثار

المحاضرة الثالثة:العادات والمعتقدات الشائعة في المجتمع الإفريقي قبيل ظهور الإسلام

المقياس: علاقات الغرب الإسلامي مع السودان الغربي

التخصص: ماستر تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط

السنة: الأولى ماستر. **السداسي:** الثاني

المحاضرة: الثالثة (03).

عنوان المحاضرة: العادات والمعتقدات الشائعة في المجتمع الإفريقي قبيل ظهور الإسلام

اسم ولقب ورتبة الأستاذ: خميسي بولعراس، أستاذ محاضر (أ)

البريد الالكتروني للأستاذ: boulaares213@gmail.com

مقدمة:

تكمن أهمية التعرف على المعتقدات السائدة في أوساط المجتمعات الإفريقية قبل ظهور الدين الإسلامي الحنيف وانتشاره في القارة الإفريقية في كونه يساهم مساهمة فعالة و واضحة في فهم الإنسان الإفريقي المسلم المعاصر وتعليل الكثير من بعض مواقفه وتصرفاته التي تتنافى ومبادئ وقيم الإسلام النبيلة، ونظرا لكونها مواقف وتصرفات مستهجنة يستغربها من لا يعرف الحقائق التاريخية والاجتماعية التي كانت سندا وخلفية لها.

والإنسان في إفريقيا متمسك بقيم روحية متجذرة في أعماق المجتمعات التي ينتمي إليها لذلك قلما يؤدي الفرد الإفريقي حركة سواء كانت ذات قيمة أو تافهة دون أن تكون مسبوقة لديه بفكرة دينية أو مبنية على تصور عقيدي سواء كان ذلك في الميدان السياسي، أو الاجتماعي، أو في مجال النشاط الاقتصادي، ومن هنا وجب على كل دارس أوكل من يريد الاشتغال في حقل الدعوة الإسلامية أن يدرس المكان الذي تبلغ فيه رسالة الدعوة دراسة عميقة وشاملة وموضوعية حتى يتمكن من إدراك، موضع الضلال ومواطن الانحراف والزيغ حتى يخلص في النهاية إلى ضبط أسلوب الدعوة وتحديد طريقة العمل الذي يتفق مع البيئة ويتماشي بانسجام مع عقلية الأفراد والجماعات واستعداداتهم وما يتلائم ومستوى تفكيرهم وقدرة استجابتهم للدعوة، وعندما نتطرق بالحديث عن المجتمعات الإفريقية فمن الصعب الفصل بين المجال العقيدي من جهة والعلاقات الاجتماعية من جهة أخرى، وذلك أن المعتقدات الإفريقية تتجاوز إطار الفرد، فكل معتقد يقابل نمطا متميزا من أنماط المجتمع، سواء كان هذا المعتقد ما يولد النمط أو ينبثق منه، فأنماط السلوك الاجتماعي عند الإفريقي تتحدد بالمعتقدات، وأول ما يشعر به كل فرد إفريقي هو الوازع الديني، أو الخوف من الأخطار والثقة المتناهية. إن لم نقل العمياء في مساندة الجماعة التي ينتمي إليها، ووفق هذا المنظور فهو إمعة وسط الجماعة التي ينتمي إليها، والخضوع بالتسليم للتقاليد التي تفرضها هذه الجماعة أو تفرضها الطقوس والشعائر الدينية المتداولة بين أفراد الجماعة أو العشيرة أو القبيلة.

محتوى المحاضرة:

1- الاحيائية والمجتمع الإفريقي: كانت الديانة المنتشرة في المجتمع الإفريقي قبل ظهور الاسلام والديانات السماوية السابقة عليه هي الإصبائية .

1-1- الإحيائية : هي الاعتقاد بوجود روحية في الأشياء، أي أن الجماد والنبات أرواحا متشابهة لتلك التي لدى الإنسان، وأن الروح هي مبدا الفكر والحياة العضوية في آن واحد.

وقبل ظهور الإسلام وانتشارها كانت الديانة السائدة هي الإحيائية ما عدا في مناطق محدودة جدا حيث تسود اليهودية والمسيحية، والإحيائية هي مجموعة معتقدات يعتنقها مجتمع بدائي ولهذه المعتقدات قواسم مشتركة تتمثل في مجموعة من المظاهر المتعددة والمتنوعة ولكن بدرجات متفاوتة وأشكال متنوعة، لذلك يرتبط كل معتقد من هذه المعتقدات جماعة معينة أو مساحة جغرافية محددة، ويصاحب الجماعة في حلها وترحالها أين ما تذهب، وقد يتأثر المعتقد بعوامل خارجية مما يدل على عدم ثبات هذه المعتقدات وقابليتها للتطور، رغم صلابة ومتانة وعمق جذورها الضاربة والمتأصلة في نفوس اتباعها ويعتقد الاحيائيون أن هناك قوة تتحرك في هذا الكون المنظم، ومن هنا يتعين على المعتقد رسم وتحديد مسار الحركة بطقوس دينية وذلك للحيلولة دون وقوع الكوارث التي قد تسبب للإنسان مضارا في نفسه و ماله أو أسرته وأن هذه القوة في مفهوم الاحيائيين هي عبارة عن . كائن يسمو فوق الكائنات جميعا، قام بخلق العالم دفعة واحدة ثم تسامى عن البشر، ثم خلد إلى الراحة وأناب عنه

في إدارة شؤون السماء الإله لوا "loua" الذي ارتبط بالتصرف في المطر والبرق والرعد والموت والحياة وما اليها ... وهو منزه عن صفات البشر .

كما أناب عنه في إدارة شؤون الأرض الإله "سو" " sou" حيث و هبه ادوات العمل والسحر والخير والشر، ولكن هذا الأخير لم ينزه عن الأهواء و الأغراض البشرية ويتجه الإحيائي إلى عبادة معتقدات الأسلاف لانهم في ظنه وسطاء بينهم وبين القوة الخفية العليا في معتقده، والإحيائيون يرمزون إلى الأسلاف بحيوان من الحيوانات أحيانا أو بجمادات، أو بشيء من النباتات أحيانا أخرى، ويطلق على هذا الرمز اسم "الطوطم والجدير بالملاحظة أن الطواطم الحيوانية أكثر عددا من الطوطم النباتية، ونادرا ما يكون الطوطم جمادا من الجمادات، وقد يجد عند بعض القبائل الإفريقية معتقدات مفادها أن فئة محددة من الناس وأنواعا من الحيوانات تكون وحدة اجتماعية واحدة، ومن هنا فإن مثل هذه الجماعة تضع طوطمها أو ما يرمز إليه موضع التقديس، فمثلا إذا كان الثور طوطما لقبيلة معينة فيعني ذلك أن هذه القبيلة أو العشيرة تتخذ من هذا الحيوان رمزا لها .. يميزها عن غيرها من باقي القبائل كما تتخذه لقبا يحمله.جميع أفراد القبيلة كدلالة على انتمائهم إليه، وتنزل هذا الثور أو ما يرمز إليه منزلة التقديس،وتزعم بعض القبائل في القارة أن روح جدها الأول قد سكنت الحيوان الذي تتخذه طوطما، أي أن هذا الحيوان قد صار مقرا لأرواح سلفهم من الأباء والأجداد فصارت محلا للتقديس، لما تحتويه من تلك الأرواح، وبمرور الوقت صارت . هذه الحيوانات مقدسة لذاتها.

أما أساس عبادة الأسلاف عند الإحيائيين فمردها إلى أن حياة الإنسان لا تتوقف بمجرد مفارقة الروح للجسد، أي أن لا يكون حدثا بسبب قطع الصلات بين الأحياء والأموات انما في نظرهم هو غفوة وارتخاء من جراء وهن وضعف يصيب القوة الحياتية السرمدية، لذالك فعبادتهم تهدف إلى مد العمر بحياة أطول والحيلولة دون وقوع الكوارث وحلول الشرور في الحياة.

والاحيائية في نظرهم ليست مجرد عيادة الأسلاف فقط، وإنما الأسلاف يحتلون فيها مكانة هامة أما الأموات وقد أصبحوا غير ماديين، إلا أنهم في نظر الاحيائيين ما زالوا موجودين بينهم، ولا يزالون يدخلون في الشؤون الاجتماعية للأحياء، ولهذا فهناك العديد من الأساطير والطقوس التي تقوم بدور هام في تبديد مخاوف النفس عند الإنسان الإحيائي، وأنه لا يرجو ثوابا في الآخرة لأنهم لا يعتقدون بالبعث.

وهناك أساطير شعبية متداولة بين بعض القبائلي تؤكد الدور الذي يقوم به . الإله "سو" "sou"، فهي تعزوا إليه مصدر إقامة الجماعة في إقليم معين وتنظيم الطقوس والأنشطة في هذا الإقليم، فضلا عن طقوس أخرى، والقاسم : المشترك بين المعتقدات الاحيائية هو تصور يضم كافة مظاهر الحياة المرئية والخفية وتصنيف تتقابل فيه الظواهر الطبيعية والإنسان والحيوان والنبات والجماد والأجداد في مجموعات متعددة ومتداخلة، وهذه التصنيفات لا يعرفها الجميع بوضوح في كلياتها، ولكنهم يستشعرونها بعمق ويراعون الدقة في ممارسة طقوسها. و عبادة الأسلاف تتخذ شكلا جماعيا، وتقام الاحتفالات عادة عند ظهور الهلال الجديد في الأفق فتعم القرية الأفراح طوال الليل وفي الصباح

يخرجون إلى الصيد، ويقدم جزء من الحصيلة قربانا للأسلاف، وذلك بتركها في الخلاء، وتقديم القدر الآخر للكهنة، أما إذا كان الاحتفال مرتبط بموسم زراعي فإن كاهن القرية يقوم بضرب الأرض بفاس أو آلة حادة، وبعدها يمكن استهلاك أول محصول، وشرب أول قدح خمر إكراما لروح الأسلاف، وقد يستمر الاكرام مدة شهرين كاملين تحت إشراف الكهنة والزعماء التقليديين، كما يعتقد الإحيائي كما أسلفنا ان الموت لا يفصل المتوفي من جماعته الاعتقادهم أن روحه تبقى ضمن ارواح الاسلاف و يستطيع الإحيائي الاستغاثة بها بواسطة طقوس مناسبة معلومة بالنسبة لهم.

وعندما تحدث الوفاة ينطلق البكاء والعويل ويبلغ الأقارب والأصدقاء ليقوم كل بدوره في هذه المناسبة، وقبل إجراء مراسيم الدفن ومواراة الجنة التراب يجري تحقيق حول أسباب الوفاة لإقناع.االأسرة بإجراء الطقوس و مراسيم الدفن اللازمة وبعدها توضع على القبر علامة، كما تدفن مع الجثة بعض الأشياء و الأغراض التي كان يملكها الميت، وخلال الأيام الثلاثة الموالية لتاريخ الوفاة . تذبح الذبائح وتقدم الأطعمة والشراب لمقدمي العزاء وبعد الدفن بشهر أو سنة يرفع الحداد وعندئذ يقام احتفال كبير تقدم فيه مأكولات متميزة ومشروبات روحية، وتقام الطقوس الدينية و الرقصات الغنائية.

ومثل هذه الاحتفالات يعتقد الإحيائي انها تعيد التوازن الاجتماعي وتحرر الأحياء من الممنوعات لتي يستلزمها الحداد، كما تضع الميت في صفوف الأسلاف بشكل نهائي، كما ترضي القوى الخفية في السماء والأرض وتمحو الخطايا الماضية كما أنها تجدد الروابط الأسرية بين الأحياء والأموات.

1-2- العادات والتقاليد الشائعة في المجتمعات الإفريقية.

يمكن أن نتطرق تحت هذا العنوان إلى مجموعة من العادات والتقاليد التي كانت شائعة في المجتمع الإفريقي، والتي يمكن أن نجد لها تشابها كبيرا بينها وبين ما كان سائدا في مجتمع شبه الجزيرة العربية قبيل ظهور الإسلام على الرغم من تباعد المكانيين ومن هذه العادات نذكر:

أولا/ عادة واد الأطفال: كانت هذه العادة منتشرة في المجتمع الأفريقي ويمكن مردها لعدة أسباب، فقد يواد الطفل لأنه ولد بقدميه بدلا من راسه، أو لأنه ولد واحد كفيه يزيد أو ينقص، أو يزيد اصبعا عن اليد الأخرى، وكذا إذا ظهرت أسنانه العليا قبل السفلى خلافا للعادة، وقد يؤد التوأمان أو أحدهما وذلك اعتقادا أن الروح التي أتت بالطفل روح شريرة وأنه نذير شؤم، لذلك يبادر الوالدان للتخلص منه.

ثانيا الكهانة: وهي من العادات والتقاليد المتأصلة في المجتمعات الإفريقية ويعود ذلك إلى محاولة الأفارقة فهم الغوامض وتفسيرها وتحليل الظواهر المحيطة بهم والتي يجهلون أسبابها، ولذا كان إيمانهم بالكهانة الوسيلة التي ترضي فضولهم، والكهانة متعددة الأشكال وهي علم يحتكره قلة من الأفراد اكتسبوه عن طريق الوراثة، أو التعلم الخاص بها، وتدخل الكهانة حتى في اتخاذ القرارات السياسية في حالة الحرب والسلم وإجراء الاحتفالات الموسمية وعلاج الأمراض والزواج والسفر والوفاة وما إلى ذلك، وطرق الكهانة الإفريقية متعددة.

ثالثا السحر: وتقرر المعاجم أن السحر معناه صرف الشيء عن حقيقته أو صورته إلى شيء آخر مخالف للحقيقة أو الخيال المحض، وفي كثير من الأحيان يطبق عليه التخيل" قال تعالى: "**قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى (65) قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى (66) فأوجس في تفسيه خيفة موسى (67) قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى (68) و ألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتي (69)**" سورة طه الآيات 65-69 وقال تعالى: **واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت و ماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه و ما هم بضارين به من أحد الا بإذن الله ويعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الاخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون (102)** البقرة الآية 102 وقال تعالى: " **قالوا يا موسي . إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين (115) قال القوا فلما ألقوا سحرو اعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم (116) وأوحينا إلى موسي ان الق عصاك فإذا هي تلقف ما يافكون (117) فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون (118)** الأعراف الإيات 115-118

ومن العادات التي كانت شائعة الانتشار في القارة الولوع بالسحر والإيمان بما ياتي به السحرة، والسحر في اعتقاد الإحيائيين نوعان:

- **سحر نافع** يطرد الشر وأرواحه ويجلب السعادة والخير للفرد والجماعة معا كما يشفي الأمراض ويرسم الطريقة المثلى لعلاجها، ومن مزايا هذا السحر النافع أن الأفارقة كانوا يستعينون به على حل المعضلات والمشاكل الاجتماعية التي يستعصي حلها.

- **السحر الضار:** وهو الذي يفتك بالأرواح ويهلك الحرث والنسل ويفرق بين المرء وزوجه وما إلى ذلك..

وبما أن السحر بنوعيه شديد الرسوخ في نفوس الأحياتيين فإنهم تفننوا في . أساليبه ووسائله، كما أقبلوا على تعلمه، واكتساب المهارة فيه، ومن هنا قامت تلك العلاقات الخاصة بين الكهنة والسحرة وبين الإحيائية كعقيدة راسخة . والساحر يجد أجوبة كلما يطرح عليه بواسطة التمائم والبخور وما إلى ذلك والجدير بالملاحظة أنه في المعتقد الإحياني لا يقف الإنسان معترضاء قوة الطبيعة لإخضاعها وتسخيرها خدمة لحاجاته، إنما هي التي تؤثر عليه وتوجهه حسب مشيئتها، وبديهي. يعيش معتنق هذه الخرافات في هلع شديد واضطراب نفسي دائم.

رابعا الشعوذه : وهي في اعتقاد الإحيائي مصدر الخزي والعار وسبب الاضطهاد كل من يمارسها أو في من يشك فيه ممارستها، ومن هنا ظلت غامضة ويطلق على المشعوذ في المجتمع الإفريقي اسبم "مضاص" أي أنه يمتص القوة الحيوية للضحايا، وأعمال الشعوذة تروى عليها الكثير من القصص بلغت درجة متقدمة من التصديق حتى صار من الصعب تكذيبها، ومن القصص الشعبي المتواتر اشتهار بعض الأحيائيين باستخدام السحر في قضاء

الحوائج وكل ما استعصى حله من المشاكل، كما شاع عن بعض السحرة والمشعوذين أن لديهم القدرة على التنكر والتشكيل في صور أخرى كصورة حيوان أو طائر أو نبات، ويكتسب الساحر أو الساحرة، والمشعوذ أو المشعوذة هذه الحيل عن طريق الوراثة أو التدريب الخاص

2 المعتقدات الشائعة في المجتمع الإفريقي:

2-1- التخاطر: وهو انتقال الأفكار من شخص إلى شخص آخر دون استخدام الوسائل الحسية أو المادية، وهو نوع من أنواع الإدراك المعنوية، وبه تطبيقات كثيرة في الحياة اليومية سيما عند التوائم ولعل هذا الأخير ما أكده العلم الحديث.

2-2- قراءة الأثر: وهو حالة من الاستبصار يستطيع فيها الوسيط أن يتلقى معلومات عن شخص أو شيء عن طريق الاتصال ببعض متعلقات هذا الشخص أو الشيء وكثيرا ما تستخدم الملابس أو الخواتم أو القدم في قراءة الأثر لمعرفة مكان الشخص أو الشيء.

2-3- ضرب الرمل أو الحظ: يستعمل لمعرفة الماضي والحاضر والمستقبل، وله ستة عشر شكلا وأسماء معروفة لدى محترفي ضرب الرمل وحتى هواته بحيث يرمز بعضها إلى الخير وبعضها الى الشر، واذا اراد المحترف او الهاوي ضرب الحظ، يحظر ترابا نظيفا ويبسطه على ارض وينقط فيه بالإصبع الوسطى نقاطا من الشمال نحو اليمين في اربعة أسطر ثم يتبعه

بالحذف زوجا زوجا حتى ينتهي إلى الاخر، فإذا كان الاخر زوجا أثبته وإذا بقي فردا أثبته ثانيا وهكذا حتى يتم الأربعة أسطر فيكون منها شكل عددي يستنتج منه الحال والطلب.

2-4- استحضار الأشياءك: و هو القدرة على تحريك شيء من مكان إلى مكان آخر او القدرة على استحضار شيء من مكان بعيد في لحظات، وهناك الكثير من الروايات المتواترة في هذا المجال، هذا بالإضافة إلى بعض العبارات والتقاليد الإفريقية المنافية للقيم والذوق السليم.

وفي الوقت الذي كان فيه المجتمع الإفريقي يتأرجح ويموج في الخضم ولم تتمكن اليهودية والمسيحية من إنقاذ المجتمعات في القارة من هذه المعتقدات والعادات برزت الدعوة الإسلامية في شبه جزيرة العرب حيث بزغ نورها من مكة المكرمة وفي السنة الخامسة من ظهورها بلغت القارة الإفريقية إذ وصلت الدعوة إلى إفريقيا قبل أن تصل إلى مدينة يثرب المدينة المنورة شبه الجزيرة العربية نفسها، وذلك مع الأول من الصحابة والسابقين الأولين الذين هاجروا إلي بلاد الحبشة، ولم يكد ينتهي القرن الأول الهجري حتى عم نور الإسلام ما يربو عن ثلث القارة الإفريقية.

المصادر والمراجع:

الشيخ محمد بن عمر التونسي: تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان (د.ت) ومكان طبع.

رجب، محمد عبد الحليم: العروبة والإسلام في افريقيا الشرقية منذ ظهور الإسلام إلى قدوم البرتغاليون، دار النهضة العربية, القاهرة مصر 1419هـ 1999م.

أحمد بوعتروس، محاضرة بعنوان انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، الملتقى الدولي انجامينا جمهورية التشاد .2004

4- فيحي غيث: الإسلام والحبشة، عبر التاريخ، القاهرة (د.ت).

5- محمد عبد الله النقيرة انتشار الإسلام في شرق إفريقيا ومناهضة الغرب له، دار المريخ الرياض المملكة العربية السعودية 1982.

6- عبد الرحمان عمر الماحي: الدعوة الإسلامية في إفريقيا الواقع والمستقبل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر .1982

7- عبد الرحمان عمر الماحي: الدعوة الإسلامية إلى الاستقلال من الاستعمار إلى الاستقلال، للهيئة المصرية العامة القابرة – نصر .1960

8). مجموعة من الأساتذة: موسوعة الأديان الأديان الميسرة، ط2، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان 1423هـ 2002م

Jean Chapelle : Le peuple tchadien ses racines et sa vie quotidienne et sés combats: edition harmata , saris, 1980.

Zèrbo joseph :Le monde noire. AF. Histoire et civilisation paris1963.

المحاضرة الرابعة

الديانات السماوية

في القارة الإفريقية

جامعة محمد لمين دباغين – سطيف -2-

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ والآثار

المحاضرة الرابعة: الديانات السماوية في القارة الإفريقية

المقياس: علاقات الغرب الإسلامي مع السودان الغربي

التخصص: ماستر تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط

السنة: الأولى ماستر. **السداسي:** الثاني

عنوان المحاضرة: الديانات السماوية في القارة الإفريقية

اسم ولقب ورتبة الأستاذ: خميسي بولعراس، أستاذ محاضر (أ)

البريد الالكتروني للأستاذ: boulaares213@gmail.com

المحاضرة: الرابعة (04).

مقدمة:

يمكن القول أن الديانات السابقة على الاسلام في القارة كان لها وجود محدود و حضور محتشم.

محتوى المحاضرة:

اليهودية: وصلت الديانة اليهودية الى الحبشة مع المهاجرين اليهود والذين حلوا في أواخر القرى السادس قبل الميلاد بعد تشتت شمل بنى اسرائيل حينئذ على يد الملك البابلي، غير أن مصادر حبشية تدعى أن اليهودية دخلت أرض الحبشة قبل ذلك على يد منليك بن سليمان بن داوود وملكة سبأ التي يسمونها

"ماقده" منذ القرن العاشر قبل الميلاد وقد كون هولاء المهاجرون مستعمرات تجارية بالحبشة ما لبثت أن تحولت إلى منارات إشعاع الديانة اليهودية بين الأحباش واختلط هؤلاء اليهود المهاجرون بالسكان خاصة"الأجاو" ونشروا بينهم اليهودية، وهؤلاء المهاجرون من اليهود والمتهودون من الأحباش هم الذين يطلق عليهم اليوم أهم الفلاشة flacha ومعناها المهاجرون أو الأغراب، وقد أثرت اليهودية تأثرا بالغا في الأحباش إذ ظهرت اسطورة من نسج اليهود تقول بتسلسل ملوك الحبشة من سلالة سليمان الحكيم وزوجته ملكة سبأ من ابنهما مثليك مؤسس مملكة "أكسوم" "Aksoum" . السليمانية، وظلت الأسطورة تعيش إلى نهاية حكم هذه الأسرة على عهد الإمبراطور هيلاسى لاسي" في الربع الأخير من القرن 20.

ولو كان صحيحا كما روته الأسطورة لتعصب ملوك الحبشة إلى اليهودية او عملوا على نشرها وما اعتنقوا المسيحية بسهولة فيها بعد، ولما حملوا السيف في وجه الملك اليمني اذا نواس" الذي اعتنق اليهودية وقتل المسيحيين في "نجران" باليمن، وقد كان الهدف من الترويج لهذه الأسطورة سببان:

الأول: تثبيت أقدام الأسرة الحاكمة الجديدة التي تولت حكم الحبشة منذ العلمانية 1270,م، وعرفت باسم السليمانية. والقديس تكلاهيمانوت "taklahamanut هو الذي وضع أساس هذه الأسطورة في ذلك الزمن وهدفه من وراء ذلك جمع الناس. ولم شملهم حول هذه الأسرة.

الثاني في ملوك هذه الأسرة حتى كان الخروج عليهم يعتبر كفرا، و على ايه حال فقد تركزت اليهودية في مناطق محدودة جدا في شمال الحبشه ولم تتعداها إلى سكان المنطقة الجنوبية من الحبشة.

وهكذا ظلت اليهودية حبيسة الحبشة ولم يتعد وجودها تلك الأصقاع، وحتى وإن وجدت فإنها ظلت محصورة في جنس اليهود وخاصة بعد الهجرات اليهودية التي شهدتها القارة بعد سقوط الأندلس 1492 حيث هاجرت جاليات يهودية استقر معظمها في شمال إفريقيا المغرب الإسلامي كما تسربت بعض الجاليات الصحراء مثل توات، كما تذكر بعض المراجع وجود الديانات اليهودية في المنطقة قبل هجرة هذه الجهات في بعض الجيوب المحدودة كما هو الحال في منطقة الأوراس حيث يقال أن الزعيمة البربرية الكاهنة كانت تدين باليهودية المسيحية تسربت المسيحية إلى القارة ولا سيما إلى بلاد "أكسوم" الحبشة في زمن مبكر من ظهورها عن طريق العلاقات والتبادل التجاري الذي كان قائما مع بيزنطة والولايات التابعة لها، شرعت طوائف المنصرين والرهبان والتجار في نشاطها منذ البداية وازداد عدد معتقديها بعد مرور القرون الأولى سيما بعد المرسوم الذي أصدره الإمبراطور قسطنطين الأكبر المؤسوم بمرسوم ميلانو عام 313م الذي يعترف فيه بالمسيحية كدين من ديانات الإمبراطورية و قد أرسلت كنيسة صور الشامية التي كان يرأسها الفيلسوف والتاجر الصوري ميروبيونس"meropius إيدسيوس" aedesius" جماعة للتنصير بين الأحباش وكان من بينها الاخوين فرومينتوس frumentus وكانت على متن سفينة أرست على سواحل الحبشة فتعرض ركابها للموت لأن السكان ارتابوا في أمرهم

ولم ينج منهم سوى هذين الأخوين الذين بيعا رقيقا إلى ملك الحبشة فعهد إليهما بتربية ابنه "غيزانا" ولما أصبحا موضع ثقته جعل من فرومنتبوس وزيره وحامل أختامه و ايديسيوس "ساقيه الخاص" وعند وفاة الملك طلبت منهما الملكة أن يظلا معها لمساعدته في تسيير شؤون المملكة حتى يكبر ابنها ويستوي عوده ويبلغ مرحلة الرجال، فوافقا على الطلب وبموجب ذلك تمكنا من تحويل هذا الابن الوريث للحكم إلى الديانة المسيحية ومعه رجال البلاط والحاشية وكان ذلك في القرن الرابع الميلادي، وشيدت أول كنيسة في بلاد الحبشة فزاد الترحيب بالتجار اليونانيين والرومان وسائر المسيحيين ولما تولى" عيزانا زمام الحكم رسميا وتقلد صولجان الملك عاد "ايديسيوس" إلى مدينة الصور بالشام، أما " فرومنتيوس فقد قصد مدينة الإسكندرية المصرية وقد كانت المسيحية قد انتشرت بمصر منذ أن تفرق حواريو المسيح في الأصقاع وحلول بعضنهم بهذه الأخيرة فشيدت بها الكنائس العديدة وصار لها نظاما كنسيا مقره الإسكندرية حضي "فومنتيوم " بمقابلة البابا "اثناسيوس" Athnassius بالاسكندرية فتم إعلامه بما حدث في بلاد الحبشة وطلب منه أن يعين "مطرانا" للكنيسة الفتية بالحبشة يسهر على رعاية للمسيحيين وتوجيه الجانب الروحي لديهم ، فما كان من البابا إلا أن عينه هو نفسه المطرانا" وأرسله إلى الحبشة في الفترة المحصورة بين سنتي (346 – 350 م) ولما بلغ الحبشة فرح به السكان. ولقبوه "أبونا سلامة أي (معلن النور)، ومازال هذا اللقب يطلق على مطارنة الحبشة حتى اليوم، ومنذ عام 356م صارت المسيحية الدين الرسمي للحبشة، وفق المذهب الأريوسي" بمفهوم الكنيسة المصرية ، ثم توالى نشر المسيحية من قبل

الرهبان المسيحيين السوريين، فقد وصل الحبشة تسعة منهم في النصف الثاني من القرن الخامس الميلادي وصارت الاسكندرية مصدر الإلهام الروحي للأحباش، وصار المطران الحبشة يختار من مصر منذ القرن الرابع الميلادي إلى غاية سنة 1946م عندما تقرر أن يكون المطران من من بين الأحباش وإن كانت رسامته لا تتم إلا في الكنيسة المرقسية بمصر، ومن الحبشة انتشرت المسيحية في شرق إفريقيا، غير أن انتشارها ظل محدودا في تلك الربوع حتى زمن الكشوفات الجغرافية ودخول الاستعمار الأوروبي الحديث إلى القارة، أما باقي شمال إفريقيا فقد دخلته المسيحية مبكرا وزادت مع قدوم الرومان والبيزنطيين إلى المنطقة وسيطرتهم عليها غير أن انتشارها بين السكان المحليين ظل محتشما سيما مع ظهور الدوناتية "، لذلك فعند مجيئ الفاتحين المسلمين لم يجدوا في بلاد الشمال الإفريقي تأثيرا كبيرا للديانة المسيحية ولم تقف الديانات عقبة كؤودا أمام الدين الجديد، لذلك أقبل السكان على الإسلام جماعات وفرادى دون عقد.

المصادر والمراجع:

1. أحمد بوعتروس، محاضرة بعنوان انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، الملتقى الدولي انجامينا جمهورية التشاد 2004.
2. رجب، محمد عبد الحليم: العروبة والإسلام في افريقيا الشرقية منذ ظهور الإسلام إلى قدوم البرتغاليون، دار النهضة العربية, القاهرة مصر 1419هـ 1999م.
3. الشيخ محمد بن عمر التونسي: تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان (د.ت) ومكان طبع.
4. عبد الرحمان عمر الماحي: الدعوة الإسلامية إلى الاستقلال من الاستعمار إلى الاستقلال، للهيئة المصرية العامة القابرة – نصر 1960.
5. عبد الرحمان عمر الماحي: الدعوة الإسلامية في إفريقيا الواقع والمستقبل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1982.
6. فيحي غيث: الإسلام والحبشة، عبر التاريخ، القاهرة (د.ت).محمد عبد الله النقيرة انتشار الإسلام في شرق إفريقيا ومناهضة الغرب له، دار المريخ الرياض المملكة العربية السعودية 1982.
7. مجموعة من الأساتذة: موسوعة الأديان الأديان الميسرة، ط 2، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان 1423هـ 2002م
8. Jean Chapelle : Le peuple tchadien ses racines et sa vie quotidienne et sés combats: edition harmata , saris, 1980.

9. Zèrbo joseph :Le monde noire. AF. Histoire et civilisation paris1963.

المحاضرة الخامسة

دخول الإسلام إلى السودان الغربي ووسائل إنتشاره

جامعة محمد لمين دباغين – سطيف -2-

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ والاثار

المحاضرة الخامسة: دخول الإسلام إلى السودان الغربي ووسائل إنتشاره

المقياس: علاقات الغرب الإسلامي مع السودان الغربي

التخصص: ماستر تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط

السنة: الأولى ماستر. **السداسي:** الثاني

المحاضرة: الخامسة (05).

عنوان المحاضرة: دخول الإسلام إلى السودان الغربي ووسائل إنتشاره

اسم ولقب ورتبة الأستاذ: خميسي بولعراس، أستاذ محاضر (أ)

البريد الالكتروني للأستاذ: boulaares213@gmail.com

محتوى المحاضرة:

أولا- دخول الإسلام إلى السودان الغربي.

يرجع تاريخ انتشار الإسلام في إفريقيا السوداء إلى القرن 1 هـ أي السابع ميلادي دخول الإسلام إلى إفريقيا مرتبطا ارتباطا وثيقا بتاريخ الفتوحات الإسلامية في مصر وشمال إفريقيا والأندلس.[1]

[1] – عمار هلال: الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر 1984، ص:21.

ففي عهد عمر بن الخطاب تدفقت الجيوش الإسلبامية فاتحة عبر السوس نحو مصر وتوقفت الفتوحات عند أبواب بلاد النوبة وهناك اتخذ العرب مدينة أسوان ثغرا لهم لصد هجومات النوبة والبجة التي اعتادوا على شنها خاصة بعد أن أصابهم فتح الممسلمين لمصر المسيحية[1] ونظرا لإزدياد هجمات النوبة على الحدود المصرية أمر عمر بن الخطاب بوضع حد لها فأرسل ولاة مصر عدد من الحالات ويختلف في تحديد عدد وطبيعتها الاولى[2] كانت ولاية ابن العاص سنة 21هـ والثانية ولاية عبد الله بن أبي سرح حيث بعد مقتل عمر إبن الخطاب وفي ولاية عثمان بن عفان أمر أمير المؤمنين سنة 27هـ عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري.[3]

فجهز حملة عسكرية لتأديب المنوبيين بعد نقضهم للهدنة التي عقدها مع عقبة بن نافع وتوغلت هذه الحملة في مملكة مقرة حتى عاصمتها "دنقلا العجوز" وذلك سنة 652م ودام المسلمون عاصمة النوبة في طلب ملكها للصلح وتم عقد معاهدة بينهما دارت محاورها خاصة على مكتسبات الإسلام في املنطقة وقد وصل الإسلام أوج انتشاره في عهد الدولة الطولونية، حيث قاد عبد الرحمان بن عبد الله بن عبد الحميد الحموي حملة حربية نحو بلاد النوبة سنة 868م وكان هذا الأخير شخصية دينية فذة استطاع بغزواته هاته أن ينشر

---

[1] – أحمد إبراهيم دياب: المرجع السابق، ص 47.

[2] – يوسف فضل حسن وآخرون: ندوة العلماء الأفارقة ومساهمتهم في الحضارة العربية الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم السودان، 1983، ص: 47.

[3] – إبن عذارى المراكشي: بيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، تح بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص، ص: 26، 27.

الدين الإسلامي والثقافة العربية في أرض النوبة ومن ثمة زاد استقرار العرب بشكل ملحوظ في هذه البقاع.

لم تتوقف مسيرة الإسلام عند هذه المناطق فقط بل سارت حضارته غرب النيل وجنوبه وبعد الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا اخترق الإسلام صحراءها [1] حيث يعود الفضل إلى بلدان المغرب العربي خاصة الجزائر والمغرب الأقصى في إيصال الإسلام إلى غربي إفريقيا، حيث استمر الإسلام في التوغل والغوض في أعماق إفريقيا بين الشعوب والقبائل غربا وذلك عن طريق الغزو والتجارة والدعاة والمصلحين والطرق الصوفية.

وفي ولاية عقبة بن نافع الثانية توسع جنوب المغرب الأقصى وغزا إقليم السوس الأقصى وأخضع المصامدة فدخل على يده الصنهاجيون البرابرة للإسلام ووصل إلى تامسنا ونفيس قرب أغمات وأخضع المسوفيين وقام ببناء مسجد في بلدة نفيس وقيل بأنه وصل[2] إلى بلاد التكرور وغانة في منحى نهر النيجر بين النيجر والسنغال وفتحهما وبهذا يكون عقبة بن نافع فتح للإسلام والتجارة الطريق إلى مدينة اودغست على حافة بلاد السودان [3] ويقول إبن عذارى المراكشي: "أن غزا السوس الأقصى فإجتمع به البربر في أمم لا تحصى ولا تعد فقتلهم قتالا ما سمع أهل المغرب بمثله حتى هدمهم وقتل منهم خلقا عظيما".[4]

---

[1] – عمار هلال: المرجع السابق، ص، ص: 22،25.

[2] – يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص12.

[3] – يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص:18.

[4] – إبن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص ص: 26، 27.

وفي ولاية موسى بن نصير تقدم إلى وادي درعة غازيا وفاتحا وناشرا للإسلام وقرب إليه قبائل البربر وحبب إليها الإسلام وهذا نتيجة لسياسة اللين التي كان يتبعها ومعاملاته الحسنة عن طريق إشراكها لرجال في أعمال إدارة أعماله فدخلت إلى الإسلام أفواجا وجماعات.[1]

يقول إبن عذارى: "أن موسى بن نصير خرج غازيا من إفريقيا إلى طنجة فوجد البربر قد خرجزا إلى الغرب خوفا من العرب فلحقهم وقتل منهم من قتل وسبى منهم كثيرا حتى بلغ السوس الأذى وهو بلاد درعة فلما رأى البربر ما نزل بهم استأمنوا وأطاعوا وقد أمر موسى بن نصير العرب بتعليم البرابرة القرآن وتفقيههم في الدين".[2]

وقد شيد موسى بن نصير المساجد خاصة بأغمات وقام بنشر الإسلام في أوساط اللمتونيين الملثمين في المنطقة كلها وقد سار على هذا النهج الولاة والأمراء الذين جاءوا بعد موسى بن نصير.[3]

حيث قام عبد الرحمان بن حبيب الفهري بحفر الآبار عبر هذا الطريق إلى مدينة أودغست في كل الوحات الصحراوية وكان عمله هذا سببا في إنتشار الإسلام بين سكان هذه الواحات.

وإذا كان الإسلام قد انتشر دون أية صعوبة في السودان الشرقي وكرس وجوده في سواحل القارة الإفريقية شرقا فإن شهد انتشارا في غربها لا يضاهيه

---

[1] – يحي بوعزيز: المرجع نفسه، ص: 16.

[2] – إبن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص ص: 26، 27.

[3] – يحي بوعزيز: المرجع نفسه، ص: 14.

انتشار في أية منطقة أخرى من القارة [1] وهذا بفضل الدور الذي لعبه التار العرب والبربر والمسلين والهجرة سواء اللهجرة العربية أو هجرة البربر والطرق الصوفية والدعاة العرب والبربر والأفارقة وحركات الإصلاح الديني خاصة الحركة المرابطية وهذا دون أن ننسى الدور الذي لعبه الرحالة والجغرافيين الذينن حملوا دينهم معهم.

ثانيا: وسائل انتشار الإسلام في إفريقيا الإسلامية جنوب الصحراء.

1- التجارة والدعاة:

1-1- التجارة: كما سبق وأن ذكرنا فقد كان للعرب قبل الإسلام علاقات تجارية مع إفريقيا، وكانت بعض القبائل تقوم بهذه التجارة عبر الصحراء وأصبحت هناك صلات تجارية كبيرة ومنظمة، وفي نشاط متزايد بين أطراف هذه القارة شمالها وجنوبها، وشرقها وغربها، وعن طريق القوافل التي كانت تأتي في الشمال الإفريقي ومصر وشبه الجزيرة العربية، وفي مواسم مختلفة لتتم عملية التبادل التجاري بين المشرق والمغرب، العربيين وإفريقيا جنوب الصحراء.

- قد ألف سكان إفريقيا التجار في مرحلة ما قبل انتشار الإسلام كما شاهدتهم في صور مغايرة إبان حركة إنتشاره، فقد كان هؤلاء التجار في المرحلة الأولى يمثلون ويجسدون حياة الجاهلية بكل أبعادها، وقد أثر ذلك على طريقة تعاملهم مع الأفارقة، حيث كانت قائمة على الكبرياء والغطرسة والتعالي بكل ما يحمل من جوانبه السلبية، حيث كانوا يتعاملون بالربا وأكل الأموال بالباطل وعدم اهتمامها بالمصدر، أيا كان كما كانوا يعتبرون الأفارقة سلعة تباع وتشترى

[1] – عمار هلال: المرجع السابق، ص:23.

وكانوا سلعة جد رائجة، حيث قام عليها ركنا هاما من أركان حياتهم الإقتصادية التي تمثل تجارة الرقيق.[1]

– بعد دخول هذه الفئة الإسلام تغيرت سلوكاتهم وطبائعهم ومعتقداتهم البالية، وقواعد حياتهم، فأصبحت كلها تشير وفق المبادئ الإسلامية، فأصبح التجار الذين دخلوا الإسلام يمثلون صورة حية ومترجة لواقعين متناقضين تجسد في شخصية واحدة، فقد أصبح سكان إفريقيا يلاحظون التغيرات التي طرأت على تصرفات هؤلاء التجار، والتغير في طبائعهم وسلوكاتهم بعد دخولهم الإسلام.[2]

– لقد أصبح الأفارقة يشاهدون هؤلاء التجار وهم يقومون باداء الصلاة في اوقاتها، المحددة، بعد ان يقوموا بالوضوء والطهارة ثم يركعون ويسجدون على الأرض في خشوع تام.[3] فأدركوا أن هؤلاء البشر الذين سبق وأن لقوا منهم حياة الغطرسة والتكبر واللامبالاة وهذا ما دفعهم إلى التفكير في هذه القوة العظيمة، كما أنهم رأوا هؤلاء التجار وهم يقومون بإخراج الزكاة والتصدق على الفقراء والمحتاجين، فحل هذا السلوك محل تعاملهم بالربا وأكل أموال الناس بالباطل، وعدم إيفاء الكيل والميزان فكان التاجر يجمع بين بيع سلعته ونشر الدعوة.

1-1-1- في شرق إفريقيا: لقد تردد التجار اليمنيون والحضارمة كثيرا على هذه المنطقة فكانوا يسيرون في بلاد الصومال والحبشة يتاجرون ويدعون إلى

---

[1] – عطية محزوم الغيتوري: دراسات في تاريخ شرق إفريقيا جنوب الصحراء،ط1، جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، 1998، ص: 101.

[2] – المرجع نفسه: ص 101.

[3] –

الدين الحنيف، إلا أن الدور والفضل الأكبر في نشر الإسلام في الحبشة يعود إلى طائفة من التجار المسلمين نشأت في مدينة قومر المصرية تألفت من مهاجرين من أهل التكرور وبعض الهنود والعرب وإسمها الكارمية أو الكانمية نسبة إلى بلاد كانم حول بحيرة التشاد إلى الشرق من "برنوا" وجعلوا من أنفسهم دعاة للإسلام إلى جانب إشتغالهم بالتجارة.

- ومما ساعد على انتشار الإسلام أن الحبشة في القرن 17م إنقسمت إلى إمارات تكاد تكون مستقلة سادت بينها الحروب وكانت الطبقات الفقيرة من المسيحيين المثقلة بالضرائب أكثر تحولا للإسلام، وقد أسلم على أيديهم كثير من قبائل "الجلا" و "الصومال" ودخل الإسلام إلى الصومال وكينيا بفضل جهود التجار العمانيون وعن طريق التجار العرب ودخل الإسلام أوغندا في النصف الأول من القرن 19م.[1]

1-1-2- في غرب إفريقيا: لقد كان للقوافل التجارية دورهام في إنتشار الإسلام والإزدهار الاقتصادي بغرب إفريقيا، خاصة تلك التي كانت تخرج من تونس إلى برنو غرب بحيرة التشاد، ومن جنوب الجزائر إلى بلاد الهوسة شمال نيجيريا ومن جنوب مراكش إلى مصب نهر السنغال ومنحنى نهر النيجر.[2]

- لقد كان التاجر المسلم بسلوكه وخبرته بالناس وخلقه الإسلامي الذين أثر في المسيحيين في الشرق جعله محل قبول لدى الإفريقي الوثني وأصبح ينجذب إليه ويسعى للإقتداء به، وبهذا أصبح التاجر بمثل حلقة وصل بين إفريقيا والدولة

[1] - عطية مخزوم الغيتوري: المرجع السابق، ص 101.

[2] - يحي بوعزيز: المرجع السابق: ص،ص: 15،17.

الإسلامية المجاورة، فكانوا يحملون مع بضائعهم العقيدة الإسلامية والمعارف الأساسية لها، وكانوا يعملون بمختلف الوسائل على نشر الإسلام وترويجه في اوساط الأفارقة [1] سواء كان هؤلاء التجار من القبائل البربرية التي لعبث الدور الأول في نشر الإسلام بعد إعتناقهم له أو من قبائل الصحراء مثل قبائل التوارق.[2]

1-2- الدعاة: لا يوجد اختلاف كبير بين الداعي والتاجر، فالفرق الوحيد بينهما هو أن التاجر يهتم بالتجارة والدعوة معا، أما الداعي فكان اهتمامه الأول هو أن الدعوة إلى الدين الحنيف، وكما سبق وأن عرفنا فقد حمل التجار على عاتقهم نشر الدين الإسلامي، وبما ان غالبيتهم لا تجيد الفقه والفكر الإسلامي، فالكثير منهم قاصر باستخدام الفقهاء والعلماء التعليم وتثقيف الناس بأمور دينهم ودنياهم، كانوا يقومون ببناء المساجد والمدارس وكانوا يختارون الطلاب المتميزيين لإرسالهم إلى المعاهد الإسلامية الشهيرة لكي يتتلمذوا على أيدي علماءها كالأزهر، مكة، القيروان، الزيتونة، طرابلس، فاس، مكناس وغيرها، ويعودوا قادة للفكر في هذه البقاع ومع مرور الوقت تكونت طوائف عديدة من الدعاة الذين تفرغوا للدعوة والتعليم فكانوا يجمعون حولهم عدد من الأطفال والشباب ممن القبائل الزنجية غير متحضرة.[3] يمدهم بكثير من احلقائق المتعلقة بالله، والإنسان وتصل مباشرة إلى القلب وإن استطاع الداعي إقناح شيخ القبيسلة فإن القبيلة تتبع شيخها في دخول الإسلام وإقناع هذا الشيخ لم يكن

[1] – عطية مخزوم الغيتوري: المرجع السابق، ص: 104.

[2] – أحمد إبراهيم دياب: المرجع السابق، ص: 48.

[3] – عطية مخزوم الفيتوري: ص: 105.

صعب فإن الإسلام يحافظ على مركزه ومكانته ومنحه حقوقا مقابل التزامات ليس من الصعب الوفاء بها وقد زاد من تسهيل جهود الدعاة ان الاعتقاد بوجود الله هو أساس الشعور الديني عند كثير من عبدة الأوثان ويمكن أن يتجول الوثني دون عناء إلى عقيدة التوحيد.[1] ومن أشهر الدعاة أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي*[2]، لكن بالرغم من الجهود التي بذلها التاجر والداعي تبقى جهود فردية وقضية نشر الإسلام بصورة أوسع تحتاج لوسائل أكبر وجهدا جماعيا منظما وهذا ما ظهر في مرحلة ثانية التي تمثلت في ظهور الحركات الإصلاحية والطرق الصوفية.[3]

2- الهجرة والحركات الصوفية:

2-1- الهجرة*: لقد لعبت الهجرة الإسلامية إلى دواخل إفريقيا دورا كبيرا وهاما في نشر الإسلام في هذه المناطق منذ بداية العدوة لهذا الدين فبعد أن سمح الرسول بهجرة المستضعفين كانت في الحبشة عدد قليل من المسلمين

---

[1] –عطية مخزوم الفيتوري: المرجع السبق: ص: 106.

*[2] – ينتسب محمد بن عبد الكريم المغيلي إلى قبيلة مغيلة بأحواز تلمسان عاش في فترة كانت فيها تلمسان تتخبط في مشاكل وأحداث وتقلبات واضطرابات سياسية خطيرة داخليا وخارجيا، لم يعرف بالضبط متى ولد لكن على الأرجح أنه ولد في مطلع القرن 9هـ وحفظ القرآن الكريم في صغره ثم اعتكف على دراسة العلوم العربية الإسلامية اللغوية والدينية العقلية والنقلية على أيدي الشيوخ والعلماء الأجلاء المشهورين وعلى رأسهم الشيخ يحي بن يدير عندما اتسعت معارفه استغل بالتدريس، وخلال اشتغاله بالتدريس في تلمسان لاحظ التعفن السياسي الذي يسود عرش بني زيان والتفسخ و الإنحلال اللذان يعمان مجتمع المدينة الزيانية وتكالب القوى الأوروبية ضد البلاد فتاقت نفسه للهجرة إلى حيث يكون بمقدوره أن يقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فغادر إلى السودان الغربي وقصد واحة توات واستقر بعض الوقت لدى أولاد يعقوب في واحة تمنطيط ثم واحة بوعلي الهني وأسس بها زاويته الدينية التي لا تزال إلى اليوم. أنظر يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص، ص 69،70.

[3] – عطية مخزوم الفيتوري: المرجع نفسه، ص: 106.

لكنهم تزايدوا مع مرور الوقت ويقال أن الوفد الحبشي أسلم ويعتبر هذا اول تأثير مباشر لحركة الهجرة في نشر الإسلام.[1]

بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، توالت الاحداث في الدولة الإسلامية من احداث سياسية واقتصادية دعت الناس للهجرة فأول هذه الحركات كانت حركة الردة، التي ركزت في قبائل اليمن وحضرموت وعمان والبحرين، حيث رفضت هذه القبائل الخضوع لأبي بكر الصديق فامتنعت عن دفع الزكاة ولكنها لم تمنع عن أداء فرائض الإسلام الأخرى وعندما وجهت الجيوش ضدها خيرت بين الهجرة أو دفع الزكاة فاختارت الهجرة إلى حيث لا يمتد نفوذ قريش فعبرت أفواج منهم البحر حاملة إسلامها معا وتركز الحضارمة اليمنيين في شرق إفريقيا.[2]

في أعقاب مقتل سيدنا عثمان بن عفان، رضي الله عنه، إنقسم المسلمون إلى شيع كثيرة ونشبت المعارك بين الفرق واشتد الخلاف بين أنصار علي كرم الله وجهه وأنصار معاوية هذا المصراع الذي عرف بالفتنة الكبرى ومن أجل كل هذا لجأت جماعات من المتشيعين إلى الهجرة من الجزيرة والشام وفارس والعراق إلى شرق وشمال ووسط إفريقيا في الفترة الممتدة ما بين 35-132هـ واستوطنوا في الساحل الإفريقي والجزر المجاورة لا سيما في جزر الدهلك والمناطق التي تعرف اليوم بـ: أرتيريا، الصومال وكينيا وتنزانيا واعتنق الأهالي الإسلام وظهر عدد من المدن الإسلامية على طول السواحل.[3]

---

[1] – عطية مخزوم الفيتوري: المرجع السابق، ص، ص: 118، 119.

[2] – عبد الرحمان عمر الماحي: الدعوة الإسلامية في إفريقيا، الواقع والمستقبل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص 32.

[3] – المرجع نفسه، ص: 39.

إذا كانت موقعة كربلاء قد أسلمت الأمر للأمويين إلا أنها أشاعت في جميع الدولة الإسلامية الشعور بالفزع وعدم الاستقرار، فإختارت القبائل العربية المناصرة لعلي الهجرة وتفرقوا في الأمصار فقصدت جماعة منهم شواطئ إفريقيا الشرقية إلا أن استيلاء بني أمية على مجموعة جزر الدهلك بدلنا على اتجاه موجات أخرى من المهاجرين فلابد أن جماعة أكبر من الأولى قصدت شرق إفريقيا ووجهت إليها الدولة الأموية الجزء الأكبر من قوتها وجعلت همها أن تراقبهم مراقبة شديدة.[1]

3- الحركات الصوفية:

كانت هذه الحركات الصوفية الجماعية تمثل نموذجا أخر من النماذج التي جسدت وترجمت الخصائص الآنية للإسلام ونقلها إلى واقع ملموس فأصبحت تمثل عاملا خارجيا هاما كانت له أبعاده وقد كانت الطرق الصوفية واسعة الانتشار خاصة في المناطق التي يوجد بها فراغ روحي وكانت الدعوة تقوم على الوعظ والإرشاد والترغيب في الإسلام وقد عملت هذه الحركات كمرحلة أولى إلى تهيئة الأفارقة للدخول للإسلام والتمسك به، حيث نشطت حركة الإحياء الديني لتنتقل بعد ذلك إلى مرحلة الثورة على النظم الاجتماعية والسياسية وقد استطاعت أن تثبت وجودها في هذه المناطق وأن تحول الصحراء القاحلة الميتة إلى مناطق مزدهرة ومجالات حيوية كما كان لها دور كبير في إحالة هذه المناطق إلى مناطق أمنة بعد أن كان يسيطر عليها قطاع الطرق واللصوص كما شهدت ظهور مؤسسات دينية واجتماعية وثقافية متعددة

[1] – عبد الرحمان عمر الماحي: المرجع السابق: ص، ص: 39،40.

كانت تقدم لهم ما يحتاجون إليه من مجلس ومأكل وتعليم القراءة والكتابة وحفظ القرآن وأهم هذه الطرق التي انتشرت.[1]

3-1- الطريقة القادرية:

تأسست في القرن 12 وتسربت إلى إفريقيا الغربية في القرن 15 م على أيدي مهاجرين من تواتة وولاتة وانتقلوا إلى تمبكتو ونشطت في القرن 19م، وانتشر دعاتها في أرجاء السودان الغربي من السنغال إلى مصب نهر النيجر بعد أن تسربت المسيحية إلى هذه المنطقة وقد قام أصحاب هذه الطريقة بإرسال أتباعهم ومريديهم إلى مدارس القيروان، طرابلس، الأزهر فاس للدراسة والتفقه والتعمق في الدراسات الإسلامية كما أكثروا من بناء المساجد والمدارس للتعليم وتحفيظ القرآن الكريم والدعوة للوثنيين وتشجيعهم على دخول الإسلام ومن أهم مراكز القادرية: كنكا وتمبكتو بجبال قوتاجالون ومسودو في نهر غامبيا وسوكوطو في بلاد الهوسة وتاوت في منطقة أدرار وتيميمون.

ومن أهم دعاة القادرية وشيوخها الشيخ عثمان فودي وابنه محمود بيلو وأخوه عبد الله والشيخ أحمد الكوفي.

3-2- الطريقة التيجانية:

تأسست بعين ماضي قرب مدينة الأغواط، جنوب مدينة الجزائر حوالي عام 1737م على أيدي الشيخ أحمد بن علي التيجاني وابنيه من بعده محمد

[1] – عطية مخزوم الفيتوري: المرجع السابق، ص: 108.

الكبير ومحمد الصغير والحاج علي بن عيسى ومحمد العابد، الحاج عمر الذي تم على يديه انتشار التيجانية في معظم ربوع السودان الواسع.[1]

وقد قامت على أساليب القادرية في الدعوة، غير أن التيجانية كانت تختلف عن القادرية من حيث اعتمادها على السيف في تحويل الناس للإسلام.

3-3- الطريقة السنوسية:

لقد قام الفقيه الجزائري سيدي محمد بن علي السنوسي سنة 1037 فرقة دينية تهدف إلى إصلاح شأن الإسلام ونشر العقيدة الإسلامية.[2]

وقد تأثرت العقيدة السنوسية بالحركة الوهابية التي انتشرت في بلاد العرب على أيدي محمد بن عبد الوهاب في القرن 18 وقد تمكن الشيخ السنوسي ونجح في تأسيس دولة دينية وذلك بقوة عبقريته الصافية واستخدام كل وسائل الترغيب في نشر دعوته وقد كانت السنوسية في أول أمرها حركة إصلاح داخلية في الإسلام نفسه أصبحت إلى جانب ذلك حركة لنشر الإسلام ومن الأمثلة على ذلك ما بذله الدعاة السنوسية من جهة ليدخلوا في الإسلام فريق من قبيلة بيلي الذي كان لا يزال على الوثنية.[3]

4- الحركة المرابطية:

عندما قامت دولة المرابطين في القرن 5 الموافق لـ 11م حمل الملثمون على عاتقهم مهمة نشر الإسلام في معظم مناطق أقاليم السودان الغربي خاصة بعد

---

[1] – يحي بوعزيز: المرجع السابق: ص، ص: 17، 18.

[2] – حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام العروبة فيما يلي الصحراء الكبرى شرقي القارة الإفريقية، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالمية، مصر، 1957، ص، ص:20-21.

[3] – حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق: ص، 21.

ضعف مملكة غانة الزنجية [1] وهذا حتى يكملوا المهمة التي بدأها الأدراسة في نشر الإسلام والقضاء على الشرك والمعتقدات البالية [2] وقد تزعم الحركة الإسلامية في السودان الغربي الأمير يحي بن إبراهيم الجدالي وعبد الله بن ياسين وهو مؤسس الدولة المرابطية وزعيمها الروحي من خلال نشاطه الدعوى والإيصلاح عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [3] والذي اتخذ رباط رباط له في الحوض الأدنى لنهر السنغال واتخذ هذا المكان لقربه من مملكته غانا الوثنية من جهة فهو مهدد بالأعداء والانسحاب بالملثمين في حالات الخطر وقد بدأ بالانضمام إليه من أبناء الملثمين حتى بلغ 1000 رجل[4] حيث يقول إبن خلدون أته لما أكتمل له هذا العدد وجهه نحو الجهاد والقيام بالحق فقتلوا من انسحب عليهم من قبائل لمتونة وجدالة ومصمودة[5].

كان إبن ياسين يولي اهتماما بالغا بالفقهاء والعلماء ويرفعهم إلى مراتب عالية، حيث التف حوله مجموعة من الفقهاء والعلماء ليساعدوا على تربية الناس وكان أهل الرباط يعيشون حياة مثالية في رباطهم ويتعاونون على قوتهم اليومي، وكان رباط السنغال منارة يشع نورها وخسرها وعملها في الصحراء القاحلة فأصبح قطب جذب أبناء قبائل صنهاجة إليه ووفر الأمن والاستقرار في

---

[1] – يحي بوعزيز: المرجع السابق: ص: 14.

[2] – عطية مخزوم الفيتوري: المرجع السابق، ص: 111.

[3] – يحي بوعزيز: المرجع نفسه: ص: 14.

[4] – علي محمد الصلابي: صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي الجوهر الثمين في معرفة ولاية المرابطين، ط1: دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، 2003، ص: 47.

[5] – إبن خلدون: تاريخ إبن خلدون: العبر وديوان المبتدأ أو الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص 187.

الصحراء فأصبحت القبائل تمر بأمن وسلام دون أن تتعرض لها أحد بسوء ما ادى إلى إزدهار التجارة.[1]

وقد حمل المرابطون على عاتقهم مهمة نشر الدين الإسلامي في المنطقة عن طريق الفتوحات وإرسال الدعاة بالدرجة الاولى [2] ولكن نظر الاعتناق ملك غانا للإسلام وغيره من الأمراء والأعيان قام المربطون بحركة جهاد في غرب إفريقيا ففي سنة 1054 تمكن المرابطون من السيطرة على أودغست [3] ومنها توجهوا إلى كومبي عاصمة غانا وتمكنوا من فتحها في عام 1076 بقيادة أبوبكر بن عمر[4]

لم يقتصر دور المرابطين على نشر الدين الإسلامي بين غير المسلمين فقط بل شمل أيضا إصلاح عقيدة المسلمين الذين اعتنقوا الإسلام ولم يلتزموا بأحكامه فهم من تزعم حركة الإصلاح الديني وتمكنوا من تثبيت العقيدة الإسلامية لكن انتصارات المرابطين لم تكن ذات أهمية تذكر من الناحية العسكرية والسياسية إذ لم يدم وجودهم إلا 15 سنة لكن هذا الحضور كانت له إيجابيات حيث ساهموا في إيصال الإسلام إلى نواحي بعيدة من غربي إفريقيا وهذا ما سمح للدعاة لتحقيق ما عجز عن تحقيقه القوة العسكرية.[5]

---

[1] – علي محمد الصلابي: المرجع السابق، ص: 48.

[2] – عمار هلال: المرجع السابق، ص: 24.

[3] – عبد الرحمان عمر الماحي: المرجع السابق، ص ص: 87، 88.

[4] – تعريف اودغست: مدينة كبيرة أهلة رملية يطل عليها جبل كبير ميت لا ينبت شيئا بها جامع ومساجد كثيرة أهلة بالمعلمين للقرأن وحولها بساتين النخل وهي مدينة عامرة لا يسمع فيها الرجل كلام جليسه لكثرة جمعه.(أنظر إبن الله البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء 4 من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى، العراق، ص 158.).

[5] – عبد الرحمان عمر الماحي: المرجع السابق، ص: 88.

قائمة المصادر والمراجع:

1. إبن الله البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء 4 من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى، العراق.
2. إبن خلدون: تاريخ إبن خلدون: العبر وديوان المبتدأ أو الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
3. إبن عذارى المراكشي: بيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج 1، تح بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان.
4. أحمد إبراهيم دياب: المرجع السابق.
5. حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام العروبة فيما يلي الصحراء الكبرى شرقي القارة الإفريقية، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالمية، مصر، 1957.
6. عبد الرحمان عمر الماحي: الدعوة الإسلامية في إفريقيا، الواقع والمستقبل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.
7. عبد الرحمان عمر الماحي: المرجع السابق.
8. عطية محزوم ال فيتوري: دراسات في تاريخ شرق إفريقيا جنوب الصحراء،ط1، جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، 1998.

9. علي محمد الصلابي: صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي الجوهر الثمين في معرفة ولاية المرابطين، ط 1: دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، 2003.

10. عمار هلال: الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر 1984.

11. يحي بوعزيز: المرجع السابق.

12. يوسف فضل حسن وآخرون: ندوة العلماء الأفارقة ومساهمتهم في الحضارة العربية الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم السودان، 1983.

المحاضرة السادسة

مظاهر تأثير الإسلام في إفريقيا الإسلامية جنوب الصحراء

جامعة محمد لمين دباغين – سطيف -2-

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ والآثار

المحاضرة السادسة: مظاهر تأثير الإسلام في إفريقيا الإسلامية جنوب الصحراء

المقياس: علاقات الغرب الإسلامي مع السودان الغربي

التخصص: ماستر تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط

السنة: الأولى ماستر. **السداسي:** الثاني

المحاضرة: السادسة (06).

عنوان المحاضرة: مظاهر تأثير الإسلام في إفريقيا الإسلامية جنوب الصحراء

اسم ولقب ورتبة الأستاذ: خميسي بولعراس، أستاذ محاضر (أ)

البريد الالكتروني للأستاذ: boulaares213@gmail.com

مقدمة:

لقد وصل الإسلام إلى السودان في وقت جد مبكر وأصبح جزء لا يتجزأ من العالم الإسلامي ويعود الفضل في ذلك إلى عدة عوامل سبق وأن ذكر ناها خاصة منها: التجارة وحركة المرابطين والدعاة واصطبغت البلاد بكل المظاهر الحضارية العربية الإسلامية حيث استطاع الإسلام أن يتوغل داخل المجتمعات السودانية بين مختلف الفئات الحاكمة والمحكومة بسهولة ويسر وعن قناعة

بفضل سماحة هذا الدين واستطاع الإسلام أن يحدث ثورة حقيقية داخل المجتمع مست الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية.[1]

محتوى المحاضرة:

أولا: الجانب السياسي:

لقد كان من انتشار الإسلام والحضارة العربية في غرب إفريقيا ووسطها وشرقها قيام مدن وعوامهم وممالك وإمبراطوريات، حيث شهد غرب إفريقيا الرعوي شمال نطاق الغابات الإستوائية قيام وتعاقب عدد الممالك والإمبراطوريات على أيدي قبائل فاتحة من الشمال الإفريقي الغربي ومن الشعوب الزنجية وشبه الزنجية. واستطاعت القبائل الإفريقية المقيمة على حافة الصحراء الجنوبية والمشتغلة بحرفة الرعي والتجارة أن تحمل على استقلالها الذاتي وتضع لنفسها أساسا إدارية واجتماعية وعسكرية ملائمة لها وتمكنت من بسط سلطانها على الشعوب الزنجية في إقليم السافانا وتقيم لنفسها إمبراطوريات واسعة اعتمدت على بقائها على القوة العسكرية والعصبية القبلية.[2]

إمبراطورية غانا (300م-1240): تأسست حوالي 300م واستمدت اسمها من عاصمتها القديمة غانة واتسعت رقعتها مع مرور الزمن ومن بين مدنها اوداغوشت وتيشن وولاتة وتيمة وتجيبيدرا وديارا ونيورو وصوصو، وصوصو وقد أسست هذه المملكة مجموعة من القبائل البربرية المغاربية الزاحفة والمهاجرة من شممال إفريقيا إلى هذه المنطقة واستقرت في أوساط الماندي وشعوب

[1] – يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص: 15.

[2] – المرجع نفسهن ص، ص:15، 18.

السونينكي الفرنجية خلال القرن 12م، وفرضت سيطرتها عليها حتى القرن 14م، وقد استولى الطوارق على غانا في مطلع القرن 10م.[1]

*** إمبراطورية مالي: 1225-1488م:**

تقع مالي بين بلاد بورنو شرقا والمحيط الأطلسي غربا والصحراء الكبرى وبلدان المغرب الشمالية وسكانها بدور حل دخلوا إلى الإسشلام حتى القرن 11م تأسست سنة 1225م وبلغت أوج ازدهارها الثقافي والحضاري خلال القرنين 14 و 15م وسقطت سنة 1670م في منصور الذهبي.

* مملكة السوننكي بصوصو 1200-1240م.

* مملكة صنغاي في فاو 650-1780م.

* ممالك الهوسا بشمال نيجيريا ما بين القرنين 13 و 19م.

- ممالك اليوروبا جنوب غرب نيجيريا ما بين القرنين 7 و 19م.

- مملكة البرنو 1507-1819.[2]

* إمارات موسى- داجونبا- بين نهري الفولتا ومنحنى نهر النيجر مملكة البامبارا في نوتاجالون وتتألف من نوتاجالون وتتألف من خمس إمارات:

وفي شرق إفريقيا قامت مملكة النوبة بدنقلة جنوب مصر ومملكة الفونج في سنار بالسودان (1505-1820) ومملكة دارفور بالسودان كذلك (1637-1857) ومملكة تقلب.[3]

---

[1] – يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص: 21.

[2] – المرجع نفسه: ص 42.

[3] – يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 142.

استعملت المجتمعات السودانية الانظمة العربية الإسلامية في الحكم والإدارة وتسيير دواليب الأمور و المصالح العامة فهناك السلطان والملك والأمير والحاكم والوزير والوالي والقاضي والإمام ومجلس الشورى وقائد الجيش وصاحب الشرطة وصاحب بليت المال والبلاط وكل مظاهر السيادة الدينية والمدنية العسكرية.[1]

لقد تأثرت المجتمعات السودانية بالأنظمة الاقتصادية العربية الإسلامية وقامت بتطبيقها ففرضت الزكاة والخراج وضرائب الأعشار والمهن المختلفو استعملت نفس المقاييس والمكاييل والموازين ففي المقاييس استعملت الشبر (21.5مم) والذراع (50مم) والميل (1920مم) والفرسخ ثلاثة أميال (1920x 3= 5760) والبريد مسافة سير ساعة على الحصول في الموازين، المثقال (70 حبة قمح متوسطة).[2]

الدرهم= $\frac{4}{10}$ دينار والأوقية: 225غ.

في المكاييل استعملت المد: (0.75 لتر) والصاع (3 لتر) والقناطر (200 رطل) كما عرفت التجارة ازدهارا واسعا خاصة في مواسم الحج فقد كان الناس يعدون بالعشرات وأحيانا بالمئات ويجمعون الجمال والأحصنة والأحمرة والمؤن الضرورية باتجا الحجاز ويعينون على كل ركب قائدا يدعى أمير الركب سالكين طرق القوافل الممعروفة، أما عبر بلدان وعواصم شمال المغرب العربي إلى مصر والحجاز أو عبر مدن جنوب الصحراء الكبرى إلى البحر الأحمر

[1] – المرجع نفسه، ص 187.

[2] – يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص،ص: 187-189.

فيجتمعون بين أداء فريضة الحج والعمل التجاري الذي يعوضهم عن مصاريف الرححلة ذهابا وإيابا ومن أشهر مواكب الحج السوادنية: مركب السلطان كنكن موسى إمبراطور مالي في القرن 14م، موكب السلطان الأسقيا محمد الكبير الثوري إمبراطور السنغاي في القرن 15م.[1]

ثانيا- الجانب الاقتصادي

1- أشهر الأسواق التجارية المنتشرة في السودان هي:

1-1- السودان الغربي: من أهم أسواقه تمبكتو لتي كان لها الدور البارز تجاريا وثقافيا خلال العصر الوسيط وكذلك نجد أسواق "توات" وعين صالح بإقليم تيديكلت في الشمال وتوجد أسواق أخرى على طول الطرق بين تمبكتو وأسواق توات وتيديكلت منها: أروان ومبروك وإيفراون وتيميساو وأونان وتلوديني والن وتبريشومين وأكايلي.

1-2- أسواق تشاد والسودان الأوسط: من بينها: سوكونو وقاندو وكاتسنا وتاقبليلي وأقاديس وبئر عسير وجبادو وين تومر (كاواو) وإلى شمال هذه الأسواق تقع أسواق فزان وواحات الكفرة بليبيا.[2]

انب الدائري والهرمي في بناء المنازل ويعتبر المهندس الغرناطي الحاج محمد الشهي هو اول من أدخل هذا الطراز إلى السودان الغربي الذي إلتقى به

---

[1] – المرجع نفسه: ص،ص: 187-47.

[2] – يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 18.

*- تمبكتو : إسم هذه المملكة حديث وتمبكتو إسم مدينة نباهاملك يدعى منسا سليمان عام 610هـ على بعد نواحي إثني عشر ميلاد من أحد فروع النيجر ودور تمبكتو عبارة عن أكواخ مبنية بأوتاد مملوطة بالطين ومسقوفة بالتبن وفي وسط المدينة مسجد ممبني بالحجر المركب بالطين على يد مهندس من ألمانيا: (أنظر حسن الوزان، وصف إفريقيا، ت، محمد حجي محمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983، ص 165.)

السلطان المالي كنكن موسى في مكة خلال الحج، حيث شيد له قصر في عاصمته وبنى عدة مساجد في بناتي وكنيوكتو وجني.

كما استحدثوا بناء الأحواش والزرائب حول المساكن كما يظهر تأثير الثقافة الإسلامية في إفريقيا بين أصل البلاد في مظهر (الإسلام) اللباس من حيث الشكل واللون الأبيض غالبا مثل: العمامة والجبة والسروال الفضفاض الملائمين للمناخ الصحراوي[1] وغيرها من الألبسة التي يجلبها الأفارقة من البلدان المجاورة من شمال إفريقيا أويجلبوها من البقاع المقدسة عند تادية فريضة الحج وما تزال هذه الألبسة حتى اليوم مستعملة في معظم بلاد السودان الغربي سواء بالنسبة للرستميين كالرؤساء والنواب والوزراء أو بالنسبة لعامة الناس وهو ما يميزهم جميعا عن باقي المجتمعات العالمية الأخرى.[2]

زيادة على كل هذا فقد ازداد عدد الطلاب المقبلين على طلب العلم والهجرة خارج بلادهم إلى الحجاز ومصر وزاد عدد طلبة بلاد السودان الغربي في مصر حتى أصبح لهم رواق بإسم رواق التكرور.[3]

كما ورث السودانيون وأخذوا عن المسلمين الكثير من المهن والحرف التي كانت منتشرة في العالم الإسلامي خاصة في شمال إفريقيا ومن بين الحرف: صناعة الأقمشة والأدوات الطينية والعاجية والخشبية والجلدية وقامت في المدن السوادانية أحياء وأسواق خاصة بهذه الحرف.[4]

---

[1] – يحي بوعزيز: المرجع السابق: ص، ص: 188، 189.

[2] – عمار هلال: المرجع السابق، ص: 46.

[3] – يحي بوعزيز: المرجع نفسه، ص: 45.

[4] – يحي بوعزيز: المرجع، نفسه: ص 184.

ثانيا: الجانب الثقافي والاجتماعي.

عندما أسلم الأفارقة الزنوج وتشبعوا بالثقافة العربية لم يهملوا ثقافتهم وتقاليدهم الموروثة بل قاموا بنوع من الملائمة بين تقاليدهم المحبة الموروثة والثقافة العربية الإسلامية.[1]

مع انتشار الإسلام انتشرت اللغة العربية وآدابها واستعملها الأفارقة السوداني الفكر والثقافة والتربية و التعليم وفي المعاملات الاقتصادية والاجتماعية واتخذوها وسيلة للإبداع الفكري فتحولت بالتدرج إلى أداة للعمل الحضاري في أوسع مجالاته وبسبب انتشار اللغة العربية تشبع العلماء السودانيون بالفكر والثقافة الإسلامية واستوعبوها بعمق واهتموا بنقل الكتب والمخطوطات العربية الفقهية واللغوية وشرحها والتعليق عليها وكذلك الأمر بالنسبة لعلم الحديث والتوحيد والمنطق والأصول والبلاغة والشعر.

وتعتبر تمبكتو من أهم مراكز الثقافة العربية الإسلامية في السودان الغربي منذ القرن 13م، حيث أنجبت العديد من العلماء والفقهاء وكتاب السير والتاريخ أشهرهم، أحمد بابا التمبوكتي وعبد الرحمان السعدي ومن العلماء الذين جاءوا من الشمال إلى تمبكتو وكانوا وقار الشيخ المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني الذي ترك بصماته في الفكر والثقافة وفي حياة مجتمعاتها.

وقد أخذ السودانيون عن العمارة الإسلامية واتبعوها في بناء مساكنهم والقصور والمساجد وأدخلوا مادة الآجر المحروف في البناء إلى جانب الطوب واللين والحجارة وقاموا باستخدام الشكل المربع[1].

---

[1] – عمار هلال: المرجع السابق، ص: 45.

- **مصادر ومراجع للإستزادة:**

1. إبن الله البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء 4 من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى، العراق.
2. إبن خلدون: تاريخ إبن خلدون: العبر وديوان المبتدأ أو الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
3. إبن عذارى المراكشي: بيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج 1، تح بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان.
4. حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام العروبة فيما يلي الصحراء الكبرى شرقي القارة الإفريقية، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالمية، مصر، 1957.
5. حسن الوزان، وصف إفريقيا، ت، محمد حجي محمد الأخضر، ج 2، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983.
6. عبد الرحمان عمر الماحي: الدعوة الإسلامية في إفريقيا، الواقع والمستقبل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.
7. عبد الرحمان عمر الماحي: المرجع السابق.
8. عطية محزوم ال فيتوري: دراسات في تاريخ شرق إفريقيا جنوب الصحراء،ط1، جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، 1998.

[1] – يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص،ص: 146، 188.

9. علي محمد الصلابي: صفحات من التاريخ الإسلامي في الشمال الإفريقي الجوهر الثمين في معرفة ولاية المرابطين، ط 1: دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، 2003.

10. عمار هلال: الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر 1984.

11. يوسف فضل حسن وآخرون: ندوة العلماء الأفارقة ومساهمتهم في الحضارة العربية الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم السودان، 1983.

المحاضرة السابعة

دور حركة المرابطون في نشر الإسلام في السودان الغربي

القسم الأول

جامعة محمد لمين دباغين – سطيف –2–

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ والآثار

المحاضرة السابعة: دور حركة المرابطين في نشر الإسلام في السودان الغربي

المقياس: علاقات الغرب الإسلامي مع السودان الغربي

التخصص: ماستر تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط

السنة: الأولى ماستر. **السداسي:** الثاني

المحاضرة: السابعة (07).

عنوان المحاضرة: دور حركة المرابطين في نشر الإسلام في السودان الغربي

القسم الأول

اسم ولقب ورتبة الأستاذ: خميسي بولعراس، أستاذ محاضر (أ)

البريد الالكتروني للأستاذ: boulaares213@gmail.com

1- مقدمة:

لم يكن ارتباط العرب بغرب القارة الإفريقية يقل قوة عن ارتباطهم بشرق إفريقيا ووسطها، فكلما اتصل المشرق والوسط بسواحل جنوبي الجزيرة العربية والخليج العربي اتصال غرب القارة بالشمال الإفريقي، وتم الاتصال في هذه الحالة عن طريق الصحراء الكبرى، وقد بذل المرابطون جهود فعالة بغية نشرهم للإسلام في كامل بلاد الصحراء أين سوف نتطرق في هذه المحاضرة إلى الكيفية التي قامت بها هذه الدولة؟ وما هو الدور الذي لعبته في نشر الإسلام جنوب الصحراء؟

2- محتوى المحاضرة:

- التعريف ببلاد السودان:

كان العرب أول من أطلقت كلمة السودان على الأقوام التي تسكن جنوب الصحراء الكبرة وسموا بلادهم (بلاد السودان)، أما أصل التسمية لديهم فقد أستوحوا فيه لون البشرة عند سكان تلك المنطقة وتنقسم بلاد السودان على ثلاثة أقسام هي:

- **السودان الغربي** : وهو يشمل حوض السنغال الأن وغمبيا وفولت العليا والنيجر الأوسط.
- **السودان الأوسط:** وهو يشمل المناطق المحيطة ببحيرة التشاد.
- **السودان الشرقي:** وهو يشمل مناطق النيل وروافده، جنوب بلاد النوبة وكان هذا القسم الأخير قد غلب عليه عند العرب بين القرنم 9 و 12م إسم بلاد الزنوج، إلا أن كلمة السودان كانت تشمله أيضا.

وإذا بحثنا حدود هذا المفهوم الاصطلاحي لكلمة السودان من الناحية الجغرافية عند العرب يمكننا ان نعتبر حدوده الشمالية هي بدايات الصحراء الإفريقية الكبرى، ويحده جنوبا درجة 10° شمالا خط الاستواء أما الحدود الغربية والشرقية فهي المحيط الأطلسي من الغرب والمحيط الهندي من الشرق، كما استعملها الأوروبيون، فالغربيون أطلقوها على ممتلكاتهم في غربي إفريقيا، وأما الإنكليز فاستعملوها للدلالة على ماكان يعرف لديهم السودان المصري وهو يشمل حاليا كل جمهورية السودان وجزءا من أوغندا الشمالية.

أولا: الدولة وسبب نشأتها.

مشتقة من كلمة الرباط والمرابطة لقوله تعالى "**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون عدوكم وعدو الله**" الأنفال 60.

الرباط لغة: يطلق على الخمس من الخيل فما فوقها وعلى المواظبة على الأمر والمرابطة ملازمة ثغر العدو وأصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله ثم انتقل إسم الرباط إلى مسكن العباد وأصبح يطلق إسم المرابط على كل من يتفرغ للعبادة والطاعات وخدمة الدين، يدفع بدعائه البلاء عن العباد والبلاد لقوله تعالى "يا أيها الذين أمنوا أصبروا وصابروا واتقوا لعلكم تفلحون "أل عمران 200" ولقد أنشأ المسلمون الحصون والرباطات بسواحل إفريقيا وذلك لرد الهجمات الخارجية حراصة المسلمين واعتبروا ذلك الربط جهادا في سبيل الله وقربة إليه وأصبح الرباط مع مرور الزمن نظام عسكري محكم وديني تحددت أصوله وقواعده شيئا فشيئا، وأنشأت الرباطات والمحارس على كل السواحل العربية مثل رباط سوسة، صفاقس، بونة، شرشال، ورباط الفتح ثم عمت هذه الحركة لتشمل قبائل بأسرها من الصحراء يرابطون على أحواز الصحراء لحماية بلاد الإسلام، من حولهم، وأصبحت هذه "الربط الصحراوية مركزا للغزو والتوسع ونشر الإسلام في بلاد السودان وإفريقيا الغربية" [1] وسواحل المرابطين من صنهاجة الجنوب الضاربة في الصحراء"[2]

وكانت هناك 3 قبائل متحالفة أرغمتها الظروف على ذلك وهي لمتونة جدالة ومسوقة وكانت لمتونة في رئاسة القبائل الأخرى، وهذا التحالف من أجل

[1] – عبد الرحمان محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج1، ط7، سنة 1994، ص 308.

[2] – عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، سنة 2007، ص 605.

السيطرة على مسالك تجارة السودان إلى المغرب بالإستيلاء على مدينة أودغست الواقعة في الشمال الشرقي من شمال نهر النيجر، وكذلك إلى مهاجمة ملك غانا في الجنوب، وكان زعيم قبائل صنهاجة هو محمد بن تيفان اللمطي في أوائل القرن 5 هـ، وكان من أهل الدين والجهاد ولما استشهد في واقعة بينه وبين أهل السوان انتقلت الرئاسة إلى قبيلة جدالة التي كانت قادرة على محاربة السودان وكانت قريبة منها تحت يد يحي بن إبراهيم الجدالي وكان هذا الأخير متعطشا لمعرفة أمور الدين التي كانت قليلة في الصحراء.[1]

فخرج إلى الحج بصحبة بعض أعيان من قبيلته في النصف الأول من القرن الحادي عشر ولما قفلوا من الحج حضرو في القيروان دروسا في الفقه المالكي ألقاها فقيه من أهل مراكشي وهو أبو عمران الفاسي" فأعجب يحي بن إبراهيم بعلمه، وذرك له حالة قومه التي يسود فيها الجهل بالكتاب والسنة إلا أنهم يحبون الخير ويرغبون فيه فابعث معي بعض طلبتك يقرؤنهم القرآن ويفقهونهم في الدين فيكون لك في ذلك الأحر العظيم والثواب ....، دعى أبو عمران الفاسي طلبته إلى الهاب إلى هناك فاستصعب عليهم الذهاب إلى أرض الصحراء فقال له الشيخ أبو عمرانن الفاسي إني أعرف فقيها ورعا أخذ عني علما كثيرا واسمه وحاج بن زلوان اللمطي من أهل السوس الأقصى، أكتب إليه كتابا ليبعث معك أحد من تلامذته من يثق في علمه وحسن سياسة ليقرأهم

* أصله من فاس توفي سنة 430هـ-1038م، وكان من مشاهر فقهاء المالكية وصار رفيع المكانة عند الصوفية في المغرب في القرنين السادس والسابع هجريين

[1] – عبد الرحمان بدوي: الفرق الإسلامية في الشمال الافريقي من الفتح العربي إلى اليوم، دار العرب الإسلامية، بيروت، لبنان، ص ص 288، 229.

القرآن[1]، ويعلمهم شرائع الإسلام ويفقههم في الدينن فرحل إليه يحي بن عمر إبراهيم وأخبره بما أوصاه به أبو عمران الفاسي، ونقل الخبر إلى تلامذته، فانتدب لذلك رجل يدعى عبد الله إبن ياسين الجازولي، وكان من أصل العلم والسياسة ولورع فخرج مع يحي بن إبراهيم إلى الصحراء في شهر رجب سنة 430هـ، الموافق لـ إبريل سنة 1039[2]، ولما قدم إليهم وأخذ يقوم أخلاقهم ويغير المذكرات لكن الناس زهدوا بهذه الأحكام والحدود التي جاء بها لما ألفوه من النهب والسلب لكنهم احتملوه خوفا من زعيمهم يحي بن إبراهيم ولما توفي اعتزلوه وقالوا له أنه فيما يتعلق بالصلاة والزكاة فلا صعوبة فيه أما أن تقول لنا أن السارق تقطع يده والزاني يجلد أو يرجم والقاتل يقتل فإبحث لنا عن غيرها فهذه الأمور لا تعدها واجبة، وأمام هذه الصعاب التي واجهها عبد الله إبن ياسين اعتزل هو ومجموعة صغيرة من الأشخاص المخلصين وسماهم "بالمرابطين" فانقطعوا للعبادة بجزيرة النيجر وهنا توزعت حياتهم بين دراسة أمور الدين وممارسة التقوى تحت زعامة عبد الله بن ياسين أمام عمر بن يحي فتولى النظر في أمور الحرب وفرضوا دعوتهم أولا على بطون صنهاجة في الصحراء وعبأوا بعد ذلك الجنود للقيام بغزوات باتجاه الجنوب.[3]

ثانيا: قيام الدولة.

---

[1] – عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 106.

[2] – عبد الرحمان بدوي: المرجع السابق، ص 230.

[3] – عبد الرحمان محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 309.

تنتمي دولة المرابطين إلى قبيلة لمتونة الصنهاجية البربرية الكبرى، واشتهرت بدولة المتلثمين فهم يتخذون اللثام شعارا تمتاز به عن بقية القبائل البربرية المنتشرة في الشمال الافريقي.

كان مستقر هذه القبيلة في أعماق الصحراء بين بلاد البربر والسودان (السينغال حاليا)، وكانت تدين لمجوسية فأسلمت طوائف منها بعد فتح الأندلس، ولما ظهر فيهم عبد الله إبن ياسين الجازولي من سجلماسة سار يعلمهم الدين الإسلامي وأسس رباطه بواد النيجر (السنغال) ملازمة جماعة عرفوا باسم المرابطون وكان على يدهم تأسيس الدولة المرابطية سنة 439هـ/ 1042م، ففتحوا بلاد الصحراء والمغرب الأقصى وانتصروا على بلاد الأندلس وكان استفحال ملكهم في عهد يوسف بن تاشفين رافع عماد الدولة [1]، وكذلك أفلحوا في تأسيس الدولة امتدت أرضها فشملت مراكش والجزائر الغربية (ما عدا ولاية قسنطينة) وفي إسبانيا شملت القسم الجنوبي والشرقي من شبه جزيرة إيبيريا، وكذلك جزر البليار.- إن صنهاجة التي يرجع معظم المؤرخين المسلممين بما فيهم إبن خلدون أصلها إلى الأصل العربي، كونت حلفا من القبائل من أبرزها جدالة، مسوقة لمتونة، لمطة كانت مساكنهم في القرن 10و11م، ممتدة من طرابلس الغرب إلى المحيط الأطلسي إلى حدود بلاد السدوان والزنج وكذلك كانوا يملكون القسم الشمالي الشرقي من السينغال.[2]

[1] – عبد الرحمان محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 307.

[2] – عبد الرحمان محمد الجيلالي، المرجع السابق، ص 226.

وصنهاجة هذه بربرية اللغة والعادات وهم يدو يركبون الجمال وأحفادهم الحاليون والتوارق ونفس اللباس الذي يرتدون اليوم كان يرتديه أسلافهم من قبل وبالأخص اللثام الذي هو عبارة عن قطعة قماش تغطي الوجه من الأسفل إلى الأعلى (وكانوا مولوعين بتربية الماشية، الجمال و كانوا لا يفارقونه أبدا وكانوا يحتقرون ذوي الوجوه المكشوفة ويعتبرونها مصيدة للذئاب، وكان مصدر ثروتهم وعيشهم هي الماشية خاصة (الجمال)، ولما يكونوا يمارسون النشاط الزراعي على الإطلاق وقد قال البكر، ينقد عمر أحدهم" ما رأى خبزا ولا أكله إلا ان يمر بهم التجار من بلاد الإسلام او بلاد السودان فيطعمونهم الخبز ويتحفونهم ويزودونهم بالدقيق".

ومع ذلك فإن تجارة القوافل كانت مزدهرة في الصحراء الغربية وقد قال أحد المؤرخين "كانت صنهاجة الملثمون سلاطين ملوك الزنج في السودان وآسيا (الصحراء الأطلسية)" وهم بلا شك أكبر المنتفعين من تجارة القوافل سواء نقلوا البضاعة أو استخلصوا من القوافل اتاوات المرور والمحاية.[1]

ثالثا: أهم الشخصيات:

1- عبد الله إبن ياسين (الزعيم الورحي للمرابطين)

هو عبد الله إبن ياسين بن مكوك بن سير بن علي الجذولي أصله من قرية تمامانوت في صحراء غانا.

[1] – شارل أندري جوليان، محمد مزالي، بن سلامة: تاريخ إفريقيا الشمالية من الفتح إلى 1830، ج2، تونس، سنة 1978، ص، ص 104، 105.

درس على فقيه السوس وحاج بن زولو ثم رحل إلى الأندلس في عهد ملوك الطوائف وأقام بها سبع سنين واجتهد في تحصيل العلوم والإنسانية ثم أصبح خبير طلاب الفقيه (وجاج بن زولوا) فعندما طلب أبو عمران الفاسي من تلاميذه وجاج بن زولوا أن يرسل مع يحي بن إبراهيم فقيها فوقع الاختيار على عبد الله بن ياسين الصنهاجي الذي كان عالما ببيئة قومه وأحوالهم.

ودخل عبد الله إبن ياسين مع يحي إبن إبراهيم في مضارب الملثمين من قبيلة جدالة عام 430هـ-1038م، فاستقبله أصلها واستمعوا له وأخذ يعلمهم الإرشاد الديني واللغة العربية لهامة الناس بلهجتهم البربرية المتداولة لديهم.

واجه عبد الله إبن ياسين الكثير من الصعوبات إذ وجد أكثر هؤلاءئ الملثمين لا يعرفون من الإسلام إلا إسمه وعم الجهل عليهم وانحرفوا عن تعاليم الإسلام الصحيحة، لكن هذه الأحكام والتعاليم التي جاء بها عبد الله إبن ياسين لا تتماشى وعادات الملثمين فثاروا عليه وكادوا يقتلونه.[1]

إلا أنه انتقل إلى قبيلة لمتونة وترك قبيلة جدالة ومن ثم اختار رباطه المشهور على مصب نهر السينغال، وبعد انتشار دعوته هجع إليه الناس ليربيهم ويعلمهم وينظمهم.[2]

2- يوسف بن تاشفين القائد الزياني: (400-500هـ)

يوسف بن تاشفين بن إبراهيم اللمتوني الصنهاجي وأمه بنت عم أبيه فاطمة بنت سير بن يحي بن وارتقني، وكانت قبيلته قد سيطرت بسيادتها وقيادتها على

[1] – علي محمد الصلابي: التاريخ الإسلامي، ج2، دار الفجر للتراث، القاهرة، سنة، 2005، ص 230.

[2] – محمد الصلابي: المرجع الابق، ص 231.

صنهاجة واحتفظت بالرئاسة منذ أن جعل الإمام إبن ياسين فيها بعد وفاة الأمير يحي بن إبراهيم الجدالي فنما عزيزا كريما في قومه

قال عنه المؤرخون:

ملك له الشرف العلى من حمير " " " وأن اتهمو صنهاجة فهم وهم

وكان يوسف يجمع بين جمال الطلعة وبين أبدع المواهب، كان بطلا شجاعا كريما، زاهدا في زينة الدنيا، عادلا، متقشفا، لباسه الصوف، وطعامه خبز الشعير ولحوم الإبل ولبانها، كان عزيز النفس كثير الخوف من الله.

تلقى تعليمه في قلب الصحراء من أفواه الفقهاء، وتربى على تعاليم عبد الله إبن ياسين فبرع في فنون الحرب والسياسة الشرعية.

تزوج يوسف ابن تاشفين من زينب النفروية بعد أن طلقها عمه أبو بكر بن عمر عندما سافر إلى الصحراء، فكانت نعم الزوجة المعينة لزوجها توفيت سنة 464هـ وتزوج من سيدة أندلسية، تدعى قمر وأنجبت له ولي العهد أمير الأندلس والمغرب بعد والده (علي).

كما تزوج من إمرأة تسمى عائشة وأنجبت له الأمير، كما رزق من مجموعة من الذكور منهم محمد وإبراهيم الدين كانوا من القادة البارزين في جيش والدهم، وأما بناته هما كونة ورقية.[1]

[1] – علي محمد الصلابي: المرجع السابقن ص ص 232، 233.

المحاضرة الثامنة

دور حركة المرابطون في نشر الإسلام في السودان الغربي

القسم الثاني

جامعة محمد لمين دباغين – سطيف -2-

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ والآثار

المحاضرة الثامنة: دور حركة المرابطين في نشر الإسلام في السودان الغربي

المقياس: علاقات الغرب الإسلامي مع السودان الغربي

التخصص: ماستر تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط

السنة: الأولى ماستر. **السداسي:** الثاني

المحاضرة: الثامنة (08).

عنوان المحاضرة: دور حركة المرابطين في نشر الإسلام في السودان الغربي

القسم الثاني

اسم ولقب ورتبة الأستاذ: خميسي بولعراس، أستاذ محاضر (أ)

البريد الالكتروني للأستاذ: boulaares213@gmail.com

1- محتوى المحاضرة:

أولا: إنتشار الإسلام في سجلماسة.

إن ما اشتهر به المرابطون من صلاح سرعان ما جلب إليهم حوالي ألف رجل تدربوا على الحياة العسكرية وأخذوا يفرضون احترام الدين بحد السيف على المتمردين وضعاف الإيمان ومالبث هؤلاء الرهبان المسلحون أن أخضعوا قبائل صنهاجة لنفوهم فأتاح لهم نجاحهم جمع 30 ألف من الأنصار تقريبا وهي قوة خارقة للعادة في مثل هذه البلاد الصحراوية، كانوا حريصين على التفاني في نشر الإسلام في نفس الوقت إشفاء غليلهم من الذهب، وجعل عبد الله بن

ياسين الجيوش تحت إمرة يحي بن عمر (أحمد أسياد لمتونة) فأفلح في الحروب التي شنها بواد درعة شمالا والسودان جنوبا، ثم دخل إلى سجلماسة وأطرد بنو مدرار نهائيا من تافلالت (976-977) واستولى إبن ياسين على املدينة وأمر بتدمير آلات الطرب واللهو.[1]

كما قاموا بالإغارة على الأمير مسعود (في درعة) على شدة ظلمة في رعبته ونجحت هذه الغارات وشجعت المحاربين المرابطين على الاستمرار في دعوتهم وبشرتهم بالفوز الحربي، كما قتلوا أمير سجلماسة في إحدى المعارك وسقطت عاصمته في يد الصحراويين (المرابطين) وقام إبن ياسين بتوزيع العنائم على المرابطين وكذلك على فقهاء سجلماسة وصلحائها مما ضمن له بذلك تأييد العلماء والفقهاء له.[2]

كما قام بتنظيم البلاد بنفسه (عبد الله إبن ياسين) فقضي على المفاسد وألغى الضرائب الغير شرعية ومحا ما أوجب الكتاب والسنة، وغيّرَ كامل المنكرات التي كانت موجودة بها وعاد إلى الصحراء مع محاربيه بزعامة يحي بن عمر ووجه حملات مماثلة نحو السودان لكين يحي بن عمر قتل في إحداها سنة 1055 أو 1057، فعين أخاه أبابكر بن عمر الذي غزا السوس واستولى على تارودنت التي كانت مستقلة عن حوكات الشمال (خرجت عن سيطرتهم) وفي يوم الأحد من 24 جمادى الأول 451هـ توفي عبد الله إبن ياسين في إحدى المعارك (بورغواطة) وفي سنة 1061 سلم الأمير أبو بكر بن عمير قيادة

[1] – شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص، ص 106، 107.

[2] – عبد الرحمان بدوي: المرجع السابق، ص، ص 233، 234.

الجيش والبلاد إلى إبن عمه يوسف بن تاشفين اللمتوني وانصرف هو إلى الجنوب لينظر في الخلافات الناشئة بين قبائل صنهاجة ويتابع دعوته إلى الإسلام في بلاد السودان.[1]

ثانيا: غانا تحت حكم المرابطين

رغم أن الغانيين استردوا أدغست بعد عام 918 واستمروا في حكمها نصف قرن أخر إلا أن ذلك لم يمنع سقوطها مرة أخرى في أيدي الطوارق الذي رحفوا عليها واحتلوها عام 960م ثم سرعان ما ظهر الأمير يحي بن إبراهيم القدالي وكان ذلك بداية لنهاية دولة غانة.[2] وقد بلغت غانا أقصى إزدهارها في النصف الاول من القرن 5هـ (أي الحادي عشر ميلادي ولكن بعد ذلك بدأ ملكهم يضعف كما يقول إبن خلدون بسبب استفحال أمر الملثمين والمجاورين لهم من الشامال وبدأ الصراع العنيف منذ حوالي منتصف القرن 5هـ بين جماعات المرابطين الذين يمثلون الإسلام، والدين كانت تحركهم الرغبة في السودان وبين ملوك غانة الذين كانوا يدينون الوثنية. [3]) وقد اعتصم إبن ياسين في رباط صغيرة بجزيرة صغيرة داخل منحى نهر النيجر وجمع حوالي 1000 فارس وفقههم، وأدبهم، وحبب إليهم الجهاد في سبيل الله ثم خرج على رأسهم للجهاد في السودان لغربي ومقاومة الوثنية والبدع والخرافات الملحدة، وفتح مدينة

---

[1] – عبد الحرمان بدوي: المرجع السابق، ص، ص 234، 235.

[2] – يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن 20، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ص 23.

[3] – تيلة حسن محمد: في تاريخ إفريقيا الإسلامية، إنتشار الإسلام في السودان الغربي من القرن الخامس هجري حتى القرن التاسع هجرين ص 189.

أوداغوست عام 1054 وانتزعها من ملك غانة، ونشر الإسلام بين سكانها وسكان المنطقة كلها تقريبا خاصة بلاد غانة.[1]

وبعد موت إبن ياسين عام 1057م، أل الأمر إلى الأمير أبي بكر بن عمر فتصدى لأمر مملكة غانا وأخضعهم جميعا بعد جهود دامت حوالي خمسة عشر عاما وفك أوصال مملكة غانا التي انفصل عنها معظم أقاليمها، وتعاون معه الزنوج بالسينغال على الاستيلاء على مدينة كومي صالح (غانة) العاصمة عام 1076 فألت إلى أبي بكر مناجم الذهب التي كانت تمثل أهم مصادر الثروة لها ونشر أبو بكر الإسلام وفرضه على معظم سكان المنطقة والمملكة الغانية.[2]

1- انتشار الإسلام في غانا وقيامها.

تأسست مملكة غانة حوالي 300م، واستمدت اسمها من عاصمتها القديمة غانا واتسعت رقعتها بمرور الزمن.[3]

ولقد ازدهرت الحياة الاقتصادية كثيرا في غانا بسبب الذهب وازدهار التجارة عظم شانها واتسعت بلادها وامتدت إليها الطرق التجارية التي كانت تسيير القوافل من المغرب والأندلس.

انتشر الإسلام قليلا في إمبراطورية غانا قبل توسع المرابطون إليها، حيث لعب التجار المسلمين الوافدين إليها دورا كبيرا في انتشار الإسلام وذلك بسبب التسامح الذي كان يتحلى به الحكم القائمن حتى أن المسلمون تقلدوا مناصب

[1] – يحي بوعزيز: المرجع نفسهن ص، ص 23-25.

[2] – يحي بوعزيز: المرجع نفسهن ص، ص 25.

[3] – يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص21.

عليا في القصر الملكي على الرغم من أن الملك الغاني لم يعتنق الإسلام بعد ولقد ساهمت معرفة المسلمين بالكتابة والقراءة في توليهم مناصب عليا ودخولهم للإدارة العامة والحياة الاقتصادية في البلاد ونشرهم للدعوة وبمرور الأيام إزداد عدد المسلمين في البلاد إلى درجة أن كان لهم في العاصمة كومي صالح وحدها 12 مسجدا ظلت غانا تحت حكم المرابطين المباشر عام 480هـ.[1]

وسرعان ما قامت ثورات ضد الإسلام، وإنما كانت تستهدف تحقيق إدارة غانية في عضون ذلك استشهد المجاهد أبو بكر بن عمر أثناء اشتباكاته مع الغانيين، بعد وفاته واضمحلت سلطة المرابطين السياسية في غرب إفريقيا.[2]

ولم كت انتصارات المرابطين ذات أهمية من الناحيى لعسكرية والسياسية لكن حضورهم ترك أثرا طيبا للإسلام في المنطقة كلها المساهمة في توصيل الدعوة الإسلامي إلى نواح بعيدة من غربي إفريقيا لم تكن صلتها من قبل مما مهد الطرق أمام دعاة حققوا ما لم تحققه الحملة العسكرية.

ويظهر تأثر وتفاعل الغانيون مع المسلمين جليا وذلك من خلال تولي الملمين مراتب عليا في القصر الملكي.

- المصاهرة والاختلاط في المناسبات وهذا ساهم في تعرف السكان على المبادئ الإسلامية وتقبلهان كذلك بناء املدن الإسلامية باستخدام الأجر كما في شمال إفريقيا، كما اعتمد ملوك غانا على المسلمين في بناء القصور على

---

[1] – إسماعيل أحمد باعي، محمود شاكل: تاريخ العالم الإسلامي الحديث، والمعاصر قارة إفريقيا (987-1400هـ/1492...1980، ص 80.

[2] – حسن إبراهيم حسن: إنتشار الإسلام والعروبة فيما يلي: الصحراء الكبرى شرقي القارة الإفريقية وغربها، ص 193.

الطراز الغربي والمغاربي كذلك تأثروا بالنقش واستخدام الرخام، كما ادخل المسلمون إلى تربية الإبل والماشية وأدمج المجتمعات العربي والغربي وتأثروا بالثقافة الإسلامية وظهر علماء كبار مثل فخر الدين أبو عمر، عثمان بن علي بن محجي.[1]

وقد قامت دولة غانة الإسلامية بعد ما اتجه المرابطون بقيادة أبي بكر إبن عمر واقتحموها سنة 1086 وقضوا على الوثنية فيها وعملوا على تحويلها كلها إلى بلاد إسلامية.[2]

2- انتشار الإسلام في مدينة أودغست.

كحركة دينية انتشر أمر المرابطين بالصحراء وترك صدى عميق لدى القبائل الصنهاجية الشيء الذي يعكس رغبة صنهاجة اللثام في تعميق معرفتها بالتعاليم الإسلامية.[3] فاستولى المرابكون على أودغست عام 1055، ثم توجهوا بقيادة أبي بكر بن عمر اللمتوني إلى غانة وفتحوها عام 1076 وقضوا على الوثنية وعملوا على تحويلها إلى بلاد إسلامية خالصة وأقاموا عليها حاكما مسلما من الغانيين.[4] ونرى أن السرعة والسهولة اللتين تمت بهما عملية استيلاء إبن ياسين على بلاد الصحراء لا تعكسان دهاء سياسيا من جانبه أو تفوق لقوته العسكرية عدة وعددا، بقدر ما يعتبران عن استعداد ورغبة القبائل الصنهاجية في الانضوء

---

[1] – حسن إبراهيم حسن: المرجع السابقن ص 194.

[2] – حسين مؤنس: الإسلام الفاتح، مطبوعات رابطة العالم الإسلامي، ص 102.

[3] – أحمد الشكري: مملكة غانا وعلاقتها بالحركة الوطنية (هل حقا قام المرابكون بغزو مملكة غانا سنة 1997، منشورات معهد الدراسات الافريقية بالرباط، ص 69.)

[4] – تيلة حسن محمد: المرجع السابق، ص،ص 179، 180.

تحت لواء زعامة روحية دينية وقد كانت أودغست مركز التجارة الرئيسي لكل القوافل الصادرة من غانة وغيرها من بلاد إفرقيا المدارية إلى بلاد المغرب عبر الصحراء، ولهذا يعتبر استيلاء حكام غانة على اودغست حادثا فاصلا في تاريخ انتشار الإسلام في إفريقية المدارية لأنه مكن الغانيين من السيطرة على طريق التجارة وطريق التجارة هنا هو طريق الإسلام.

ويقولون أن معظم الناس في أودغست كانوا من الصنهاجيين ولكنهم كانوا خاضعين لسلاطين غانة، وقبل ان يدخل المرابطون الناحية كان الإسلام قائما وكان القرآن يعلم فيها للصغار في الكتاتيب.[1] ولم يذكر البكري او غيره أن ملك غانة هذا كان مسلما، ولكن أهل أودغست كان فيهم إسلام كثير، نشره فيها تجار المغرب والصنهاجيين منهم وشيئا فشيئا أسلم معظم أهل أودغست وأصبحت مركز للإسلام في إفريقيا المدارية وعلى الرغم من أن صاحب أودغست ومعظم كبار دولته كانوا من المسلمين إلا ان الإسلام لم يعم أهلها وكان صاحب أودغست يخشى دولة غانا وسلطانها، وعندما ضعفت مملكته بعد وفاته أدى خلفاؤه الجزية لغانة ودخلت في طاعة مالكها وقد وصل المرابطون مجاهدون في ناحية الجنوب إلى حوض السنغال وهدفهم هو نشر الإسلام.[2] إضافة إلى ذلك بقي الإسلام في رقعة جغرافية صغيرة إلى أن برزت مملكة مالي.[3]

ثالثا: أسباب سقوط دولة المرابطين

---

[1] – حسين مؤنس: المرجع السابق، ص، ص 90-93.

[2] – حسين مؤنس: المرجع السابق، ص، ص 93-97.

[3] – تبيلة حسن محمد: المرجع السابق، ص 180.

لما توفي يوسف إبن تاشفين في 500 هـ خلفه إبنه على بن يوسف وأخذ لقب أبيه أمير المسلمين، فانتهج سيرة أبيه، وكان لا يقطع بأمر من أمور دولته دون مشاورة الفقهاء، فأصبح للفقهاء سطوة في أيامه على الإمبراطورية التي تركها له أبوه من بجاية شرقا إلى السوس الأقصى غربا من السودان حنوبا إلى الأندلس شمالا، فبدأ المرابطون يتغمسون في الشرق وللهو والرفاهية وسادت الثقافة الاندلسية في مراكش مما أفقد الملثمون الصفات التي جعلت منهم رجال حرب مضفرين فتدهور رجال جيش المرابطين وتراخوا في الدفاع عن ثغور المسلمين.[1] وكلك من زوال حكم المرابطون هو ان عهدهم الاول كان عهدا دينيا مخلصا خاضعا لتسلط الفقهاء الدين لم تكن أذهانهم متفتحة على العلوم والحضارة وكان الفقهاء هم مستشاروا الدولة، فلم تكن لهم فلسفة خاصة بهم ولم تتعدة مسائلهم الدينية تلك التي تجدي في المشرق، ووقعوا سدا منيعا في وجه الحركات التجديدية مثل حرق كتب المعتزلة في المغرب.[2]

وكذلك قيام المهدي بن تومرت بالثورة على المرابطين في بلاد المغرب مما جعلهم يتفرغون للقضاء عليها وكذلك المعارك التي خاضوها في شبه جزيرة إيبيريا التي استنزفت قوى المرابطين. [3] وكان تهديد بن حماد لهم، كما نشبت نزاعات داخلية خطيرة، كانت تتأكلهم ، كما أنهم استقروا في بلاد مازال لا يؤمن جانبها الأخر.[4]

---

[1] – عبد العزيز سالم: المرجع السابقن ص 602.

[2] – تحسين زينب: الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والاندلس، ج1،، 1955، دار الثقافة، ص 25.

[3] – عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 604.

[4] – شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ص 108.

وبموت علي بن يوسف سنة 1143م، 533هـ، غزى الموحدون دولة المرابطين بعد 40 سنة من ذلك بلد إثر بلد وولاية إثر ولاية وانتصروا على أمرائهم الذين عجزوا عن مقاومة هذا الجيش الجديد. [1] وأعانهم في ذلك سكان المرية التي دخلت في فلك الموحدين بعد ما ثار أهلها على المرابطين ومن بين الأسباب كذلك قيام أمراء المرابطين بإحرق كتاب إحياء علوم الدين للغزالي في بلاد المغرب، أدى إلى غضب وثورات اهل المغرب من هذا التصرف وفي هذا الكتاب يذكر الغزالي عيوب ومساوئ الفقهاء والأمراء في نزاعاتهم الفقهية وحرصهم على الدين.[2]

[1] – عبد الحرمان بدوي: المرجع السابق، ص 239.

[2] – عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص، ص 607-609.

2- خاتمة:

وحوصلة لما سبق نستنتج ما يلي:

أن أصل ونشأة الدولة المرابطية ينحدر من القبائل الصنهاجية لمتونة، جدالة، مسوقة.

- تأسست دولة المرابطين على يد مجموعة من الرجال عرفوا بالملثمين سنة 334-1042م.

- انتشرت الدعوة الإسلامية في مناطق جنوبي الصحراء بفعل احتكاك التجار المسلمين بسكانها وجهود الدعاة والعلماء القادمين من شمال إفريقيا وبفضل تفاني الإفريقيين الاوائل الذين اعتنقوا الإسلام.

- استيلاء المرابطون على أودغست واقتحام غانا والقضاء على الوثنية وتحويلها إلى بلاد إسلامية.

- أن مدينة اودغست مركز التجارة الرئيسي لكل القوافل الصادرة من غانا وغيرها من البلاد الإفريقية.

- كان عبد الله بن ياسين من أبرز الشخصيات البارزة في الدولة المرابطية وعمل على نشر الإسلام لأنه قضي على المفاسد.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أحمد الشكري: مملكة غانا وعلاقتها بالحركة الوطنية (هل حقا قام المرابكون بغزو مملكة غانا سنة 1997، منشورات معهد الدراسات الافريقية بالرباط.
2. إسماعيل أحمد باعي، محمود شاكل: تاريخ العالم الإسلامي الحديث، والمعاصر قارة إفريقيا (987-1400هـ/1492...1980.
3. تحسين زينب: الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والاندلس، ج1،، 1955، دار الثقافة،.
4. تيلة حسن محمد: في تاريخ إفريقيا الإسلامية، إنتشار الإسلام في السودان الغربي من القرن الخامس هجري حتى القرن التاسع هجري.
5. حسن إبراهيم حسن: إنتشار الإسلام والعروبة فيما يلي: الصحراء الكبرى شرقي القارة الإفريقية وغربها.
6. حسين مؤنس: الإسلام الفاتح، مطبوعات رابطة العالم الإسلامي.
7. شارل أندري جوليان، محمد مزالي، بن سلامة: تاريخ إفريقيا الشمالية من الفتح إلى 1830، ج2، تونس، سنة 1978.
8. عبد الرحمان بدوي: الفرق الإسلامية في الشمال الافريقي من الفتح العربي إلى اليوم، دار العرب الإسلامية، بيروت، لبنان.
9. عبد الرحمان محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج1، ط7، سنة 1994.
10. عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، سنة 2007.

11. علي محمد الصلابي: التاريخ الإسلامي، ج2، دار الفجر للتراث، القاهرة، سنة، 2005.

12. يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن 20، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.

المحاضرة التاسعة

الطرق والمسالك التجارية للسودان الغربي ودورها في نشر الإسلام

القسم الأول

جامعة محمد لمين دباغين – سطيف -2-

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ والآثار

المحاضرة التاسعة: الطرق والمسالك التجارية للسودان الغربي ودورها في نشر الإسلام

المقياس: علاقات الغرب الإسلامي مع السودان الغربي

التخصص: ماستر تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط

السنة: الأولى ماستر. **السداسي:** الثاني

المحاضرة: التاسعة (09).

عنوان المحاضرة: الطرق والمسالك التجارية للسودان الغربي ودورها في نشر الإسلام

القسم الأول

اسم ولقب ورتبة الأستاذ: خميسي بولعراس، أستاذ محاضر (أ)

البريد الالكتروني للأستاذ: boulaares213@gmail.com

1- المقدمة:

إن الحديث عن إفريقيا جنوب الصحراء يدعونا للحديث عن بلاد السودان هذه البلاد التي لعبت دورا واسعا ومهما في العملية التجارية العالمية خلال فترة العصور الوسطة كما مثلت نقطة وصول السلع حيث كانت مراكزها التجارية عامرة بمختلف المنتوجات، وكانت شبكة طرقها ومسالكها ممتدة من الحدود الشرقية للبلاد إلى حدودها الغربية وقد ورد ذكر المنطقة في كتب الرحالة

المسلمون الأوائل هذه المنطقة التي شهدت مد إسلامي واسع ومكثف إذ كانت هذه الطرق والمسالك التجارية دور كبير في نشر الإسلام إلى اعماق الصحراء الكبرى.

2- محتوى المحاضرة:

أولا- المقصود ببلاد السودان وحدودها:

بلاد السودان تعني بلاد السودان أي البشر من ذوي الون الأسود والمقصود هنا الإسم والجهة وذلك في المقابل بلاد البيضان والتي يقصد بها شمال إفريقيا والمغرب والصحراء أي ذوي البشرة البيضاء، ويقصد كتاب العرب ببلاد السودان كل الأقاليم شبه صحراوية في إفريقيا وشمال نطاق [1] الغابات الاستوائية والتي انتشر فيها الإسلام جنوب الصحراء الكبرى.

أما عن حدود بلاد السودان في قول كتاب العرب في العصور الوسطى : "هو الجزء الذي يشمل غربي إفريقيا ووسطها إلى الجنوب من الصحراء الكبرى".

ولم يطلق هذا الاسم على البلاد التي في حوض النيل إلا في القرن 19 (السودان الحالي).[2]

ويقول الإصطخري وإبن حوقل أنها تمتد من المحيط الاطلنطي ومن الشرق الموصلة بينها وبين أرض مصر على أرض الواحات ومن شمال الصحراء الممتدة بينهما وبين أرض المغرب وينتهي حد بلاد السودان من الجنوب إلى

[1] – نبيلة حسن محمد: تاريخ إفريقيا الإسلامية، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 2007، ص، ص 67-68.

[2] – إبن بطوطة: رحلة إبن بطولة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تر سعيد محد الزيني، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، ص 690.

الصحراء التي يقول الجغرافيون المشارقة أنه لا يوجد فيها عمارة لشدة الحر بها.[1]

أ- أقسام بلاد السودان من حيث السكان فهو كما يلي:

يزعم المؤرخون أن إفريقيا قديما كانت خالية من السكان باستثناء أرض السودان، ويعرف سكانها البيض البربر، وقد سكن الصحراء من أقدم العصور جماعات الأحباش الذين اسودت بشرتهم بسبب حرارة الشمس ونميز فيمايلي أقدم سكان الصحراء منهم:

1- صنهاجة أهل اللثام: حيث يعتبرون من أقدم سكان الصحراء وسكنوها جنوبا وقد تهددت قبائلها من [عدالة، لمتونة، مسوفة، تريكة].

2- زناتة: هم ايضا من أقدم سكان الصحراء ويشابهون كثيرا العرب في عاداتهم وتقاليدهم مواطنهم عادة بين [غدامس والسوس الأقصى].

3- اليهود : علما ان اليهود كانوا من بين سكان الصحراء حيث وجدت جماعات منها في برقة خاصة ما بين قرنين 1 و 2م وقد توطنوا في [جادوا، قابسي، سجلماسة] وفي شأن البربر عامة فقد عرفوا بعد الاحتلال الروماني هجرات كبيرة وواسعة إلى الصحراء بدءا من أواخر ق2م

ب- من شعوب السودان نجد:

1- الفلان: وهم الشعب الوحيد من الأصل الأبيض في بلاد السودان ويتواجدون في [ماسنة، تاجنت، فوناطورو، فوناجالون] وتوجد جماعات منها في البلاد المجاورة لتشاد.

---

[1] – إبن بطوطة: المصدر السابق، ص 690.

2- جماعات السنغال: وتتضمن التكرور والتكرور إسم لأرض التي يسكنونها، ويرجع أصلهم إلى مغراوة وسفارة البربر سيكنون على جانبي نهر السنغال و فيقطنون مساحة كبيرة من السنغال وغامبيا أصلهم سودانيون من الجنس الأسود.

3- جماعة الوذكارة أو الملكة: استطونوا في ق 5هـ جزءا من موريطانيا الشمالية ومنطقة الحوض، كما نجدهم في النيجر الأعلى.[1]

4- فولتا الشمالية: يقطنون شرق الوذكارة ونجد فروعهم [الموست ، الداجومبا، الكرح، يويو].

5- السنغي: يعيشون على حافة النجير الأوسط مواطنهم [تمبكت، جاو، الجيران، ثنية النيجر] وشعوب أخرى كشعب الزرها وشعب الدندي اشتهرت هذه الشعوب السالفة الذكر بممارسة نشاط الزراعة إلى جانب الرعي أما عن معتقداتهم الدينية فإن أغلبهم كانوا من عبدة الحيوانات والنباتات، كما عرفوا اليهودية للإستقرار اليهودي في إفريقيا الشمالية لبلاد السودان.[2]

ثانيا: تعريف القافلة ونشاتها:

1- تعريف القافلة: لغة من الفعل قفل، يقال قفل الجلد يعني يبس الشيء وقفل قفولا حذوه والقافل هو الراجع، والقافلة من القفل، والقفل أي الترك نقول أقفلت الدابة حتى تعلم عملها أي انظر فيها نظرا حسنا، والقفل مثل القفل وهو الأثر

---

[1] – نبيلة محمد: المرجع السابق، ص،ص.

[2] – نبيلة حسن محمد: المرجع السابق، ص

والقافل الظاهر ويقال القفول رجوع الجند بعد القروة ومنها اشتقت القافلة لأنهم وهي جمع قوافل.[1]

اصطلاحا: القافلة جمع من المسافرين والتجار يترافقون لاجتياز طريق صعب وخطير تنظيمها يقوم على تبادل المساعدات والدفاع المشترك في سفرهم الطويل عبر المناطق الخطرة والبلاد الصعادية وكذلك هي الرفقة الراجعة والمبتدئة في السفر تفاءل بالرجوع، والقوافل تنقل التجارة عن طريقها لحماية الأصول والأرواح[2] وذكر علماء اللغة أن القافلة هي العير وذكر بعضهم أن العبر هي الإبل التي تحصل المؤونة وقد أطلق أهل السير والتاريخ وحتى تحدث عن وقعة بدر لفظة عبر على قافلة قريش التي كان برأسها أبا سفيان.

نشاة القافلة: لقد استعمل التجار للعبور إلى الصحراء في بداية الأمر العربات مهما كانت ميزتها إلا انها لم تكن ملائمة للتنقل في الصحراء فلجؤا لإستعمال الحصان بدلا منها باستعماله كان محدودا فهو حتى وإن كان يمتاز بالسرعة إلا أنه كان لا يتحمل مشتاق الصحراء كالسير في كثبان [3] الرمال وتحمل العطش لفترة طويلة ولهذه الأمور فقد كان الجمل أكثر استعمالا للتنقل باعتباره سفينة الصحراء لتحمل مشاقها، إذ يتحمل العطش لفترة طويلة، وترتبط تجارة القوافل بتاريخ الشرق الأدنى من أن قامت الحضارة فيه وقد سبقت التجارة البحرية

---

[1] – إبن منظور لسان العرب المحيط، م5، دار لسان العرب، بيروت، 1988، ص 139.

[2] – عبد الكريم جودت يوسف: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 257.

[3] – محمد حسن الوزان: وصف إفريقيا، تر محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص 155.

بشكل طويل وكان تنظيم القوافل أمر ضروري ومن ثم فقد كانت طرق التجارة طرق اتصالات بشرية تسير فيها القوافل التجارية التي يصل عدد أفرادها الآلاف وكل تاجر معه رجاله وأتباعه وركاب التي تحمل بضائعه والجمل يستطيع أن يسافر لعدة أيام دون أن يحتاج إلى الماء ويستغرق في السفر شهرين على الأقل.[1]

ثالثا: نظام سير القوافل التجارية:

كانت انطلاق القوافل يتم عبر مراحل وشروط تتمثل فيما يلي:

1- كانت محدودة الزمن والمكان ومنظمة السير فعلى كل من كان يفضل السفر أن يتجه إلى القافلة التي تأخذ طريق سيره، بعد أن يتخذ كل من القافلة كافة استعداداته تنطلق في سبرها. وليس بالضرورة أن ينزل المسافر عند ذهابه أو أخر محطة تتجه إليها القافلة بل، يمكنه التوقف أين ما أراد لكن مه احترام طريق سيرها.

2- لكل قافلة "مقدم" يتحكم في سيرها وحلها و ترحالها، وقد جرت العادة أن يضرب المقدم الطبل للإعلان عن المسير.

3- ضرورة الاستعانة بدليل تستدل به القافلة على طريقها.

4- إتخاذ الطرق التي يتوفر بها الماء مع سهولة المنطقة.

5- تجهيز القافلة بالزاد من مواد غذائية مجففة والخيام والأسلحة، حيث ذكر أبو حامد الغرناطي أنهم كانوا يحملوا زاد 6 أشهر.

[1] – محمد حسن الوزان: المصدر السابق، ص 156.

6- كانت تفرض قبائل الصحراء ضرائب على القوافل المارة مقابل الإدلاء.[1]

7- انطلاق القوافل كان يتم حسب الفصول، ففي الشمال يتم سبرها خلال فصلي الربيع والخريف، أما فغي الجنوب الصحراء فيتم حسب الإدريسي حريفا أما إبن حوقل فذكر ان ذلك يتم شتاءا.

8- وأثناء سيرها (القوافل)، فلها نظامها من زمان حيث تبدأ السير من وقت السحر الأخير فيتمشون حتى اشتداد الحر أين يحطون رحالهم ويتخيمون حتى وقت العصر ليواصلوا بعد ذلك السير حتى حلول الظلام، ويبيتون ليلتهم أين حلو هذا برا أما السير بحرا، فقد جرت العادة أن تسير السفن في قوافل بحرية.

9- ويجب خضوع هذه السفن للفحص المسير حيث يقوم بفحصها خبراء، وذلك قبل إقلاعها .

10- ويختلف حجم ا لسفن حسب مدة طول سيرها فمثلا ا لسفن التي كانت تنطلق من ماسة إلى الصين" كانت كبيرة الحجم يصل ارتقاءها إلى 10 أمتار حتى أنهم كانوا يصعدون على متنها عن طريق السلم.[2]

---

[1] – جودة عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعي في المغرب الأوسط خلال القرنين (9،10م)، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت، ص 212.

[2] – جودة عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص، 212.

رابعا: طرق مسالك القوافل التجارية:

1- كانت هناك 3 طرق رئيسية:

1-1- في الشرق: الطريق الذي يربط إفريقيا بالسودان يبدأ من طرابلس ومنها إلى فزان كوار ثم نتجه إلى مملكة بورنو.

1-2- في الوسط: أي مع المغرب الاوسط: طريق غدامس أغات إلى إبرو منها إلى ممالك الهوصة.

1-3- في المغرب: مع المغرب الأقصى طريق سجلماسة، اودغست، غانة أو سجلماسة نغازي، أولاتن في القرن 8هـ لكن في القرن 16 هـ أصبح الطريق ينحدر من سجلماسة إلى غايو تمبكتو.

وقد أثبتت التجربة ان هذه الطرق هي الأقصر والأقل خطرا بالنسبة للتجارة، وبعد طريق فزان كوار أسهل طرق القوافل عبر الصحراء لانه كان يحمل كميات من الملح والعبيد أما الطريق بين (غدامس وغانا) في الوسط فقد سيطر عليه الطوارق.

وكان أكبر الطرق الثلاثة هو طريق (سجلماسة نغازي) نحو تمبكتو.[1] الذي كان يحمل تجارة الذهب وكان معبرا ثقافيا هاما بينها وبين سائر بلاد السودان وإزدادت أهميتها وعظمتها في عهد المرابطين (30هـ/ 539هـ) أين كانت سجلماسة باب للتجارة عندهم نحو بلاد السودان كانت أيضا على طريق من يريد الذهب من غانة.

[1] – نبيلة حسن محمد: المرجع السابق، ص، ص 140، 141.

وظلت هذه الطريق كذلك في اواخر القرن 18 وحلت محلها طرق أخرى في ما بعد.

2 – طرق جديدة:

2-1- عين صالح (عاصمة التوت): وكان الوصول إليها سهلا من مراكش بإتخا طريق وادي الساورة.[1]

2-2- طريق فاس ومكناس إلى تومبكتو: يمر يقصبة المخزن ثم حوض الساورة إلى توات وصولا تومبكتو.

2-3- أكا: التي حلت محل سجلماسة في تجهيز القوافل عبر الصحراء وتمر عبر (نغازي) و (تودين) إلى تومبكتو.[2]

وقد ذكر أن الطريق من سجلماسة" إلى "نغازي يستغرق 25 يوما.

وتخترق الصحراء القوافل التجارية المتوجهة إلى بلاد السودان بطرق ومسالك مؤدية إليها هذه اتجهت هذه القوافل اتجاهين [شمال نحو الجنوب والعكس]" وهناك اتجاه ثالث نحو مصر يربطها بالمنطقة هو إتجاه غربي نحو الشرق والعكس.

---

[1] – نبيلة حسن محمد: المرجع السابق، ص 147.

[2] – يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16 إلى مطلع 20، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيعن الجزائر، 2001، ص 47.

3- وهناك 6 مسالك مشهورة وهي:

3-1- طريق سجلماسة: له أهمية بالغة حيث ينطلق إلى ولاتا ومنها إلى تومبكتو، جني، غاو.

3-2- طريق تلمسان: طريق يمر بغرداية وتوات وينتهي إلى تومبكتو.

3-3- من تكرت وورقلة: ينطلق نحو "غاو" مباشرة ويتصل هذا شمالا بالمواني الجزائرية مثل [جزائر بني مزغنة، بجاية، سكيكدة].

3-4- من واحة جريد جنوب تونس: تمر قوافله في الغالب بورقلة وادي السوف و من هناك إلى غدامس.

3-5- من طرابلس الغرب إلى الساحل الليبي: يمر بغدامس وله فرع يمر بفزان وينتهي إلى بورنو وغاو.

3-6- طريق ينطلق من مصر : يمر بواحة سيوا و وتادمكة وينتهي إلى غاو وتمبكتو.

وقد تحدث إبن خلدون عن القوافل التجارية بأنها كانت تنضم إلى السودان من التلول والأمصار ويشارك فيها السكان البوادي والمدن على حد سواء كما أشار إلى أنه في عهد مملكة سنغاي أهمل الطريق الرابط بين السوس وولاتن او ولاتا بعد أن أصبح غير أمن بسبب إغارة القبائل السوسية عليه وانتهج طريق أخر بعد أمن إقليم توات وتحول إلى أكبر وأهم طريق تجاري بإعتبار التواتيين جالبة تقطن مدن سنغاي في ذلك العهد أما باقي الطرق فقد بقيت على حالها من أيام

الأسقيين (1493-1591) بل وأضيف طريق أخر بعد بروز التجارة الأوروبية مع البلدان المغربية.[1]

وقد يقي الطريق الشرقي على حاله بين مصر والسودان الغربي وإزدادت درجة تعاملهم بعد وصول دولة المماليك في مصر وكثرة الإنتاج.

وكانت القوافل التجارية تتعرض بمجموعة من المشاكل طول الطرق التي كانت تسلكها منها هجمات اللصوص وقطاع الطرق والبدو الرحل والتوارق الملثمين.

- قلة المياه لنقص الآبار وارتفاع حرارة المنطقة خاصة في مناطق الرمال.
- ضرائب المرور والتي كانت ترتفع بإستمرار خاصة بعد قدوم الإنجليز ومزاحمتهم لتجارة المنطقة.

أما الفترة التي كانت تستغرقها القوافل بفي الطريق بين الذهاب والإياب فهي تمتد شهورا عديدة وقد تصل إلى فصل كامل من فصول السنة وعادة ما كانت القوافل تبدأ رحلتها مع مطلع فصل الشتاء، حيث الحرارة والطقس ملائمان بالصحراء فنجد مثلا قافلة طرابلس الغرب إذ كانت تستغرق 25 يوما تقطعها على مراحل حسب الكيفية التالية:[2]

من طرابلس إلى غات 55 يوما.

من غات إلى أفزوان 40 يوم.

من أفزوان إلى زندر 24 يوما.

من زندر إلى كانو 6 أيام.

---

[1] – عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي في عهد الأسقيين (1493-1591) الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ص، ص 213، 214.

[2] – يحي بوغزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، المرجع السابق، ص 50.

وقد كانت الدول المغربية تتخذ الإجراءات لمواجهة هذه المشاكل منها:

- تزويد القافلة بالأسلحة الكافية لتدافع عن نفسها.
- فرض ضرائب متنوعة مثل: ضريبة العشر وضريبة تكلف إبلاغ القافلة مسبقا بكل تحركات العصابات البدوية حتى تحتاط بكل الوسائل.
- تنظيم شرطة صحراوية على طول طريق القافلة خلالا الذهاب والإياب بمراقبة البدو الرحل والقيام بالسد.

منح بعض العائلات والقبائل امتيازات متوارثة مقابل تنظيم الدفاع عن القافلة.

ورغم كل هذه الاجراءات نجد أنه بمرور الوقت وظهور الاستعمار الحديث كوجه جديد للتطور الحضاري والاقتصادي بدأت القوافل تزول تدريجيا وخاصة بحلول السيارة والطائرة محل الجمل.[1]

[1] – يحي بوعزيز: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية، د.ط ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص 116.

المحاضرة العاشرة

الطرق والمسالك التجارية للسودان الغربي ودورها في نشر الإسلام.

القسم الثاني

جامعة محمد لمين دباغين – سطيف -2-

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ والآثار

المحاضرة العاشرة: الطرق والمسالك التجارية للسودان الغربي ودورها في نشر الإسلام

المقياس: علاقات الغرب الإسلامي مع السودان الغربي

التخصص: ماستر تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط

السنة: الأولى ماستر. **السداسي:** الثاني

المحاضرة: العاشرة (10).

عنوان المحاضرة: الطرق والمسالك التجارية للسودان الغربي ودورها في نشر الإسلام

القسم الثاني

1- محتوى المحاضرة:

أولا: المواد التجارية:

تعتبر بلاد السودان كغيرها من البلدان الأخرى تحتوي على مواد تجارية تؤهلها لإقامة تبادل تجاري مع مختلف المناطق الأخرى ويعني ذلك وجود مواد تصدر وأخرى تستورد حسب حاجة الأفراد.

1- الصادرات:

من أهم المواد التي كانت تصدرها بلاد السودان نذكر المعان والتي منها الذهب الذي اعتبر أهم غلة عند السودان وكان يعول عليها صغيرهم وكبيرهم وقد نسجت حله العديد من الأساطير ففي القرن 8هـ، نجد العمري يكتب في سنة 738هـ في كتابه "مسالك الأبصار" رواية عن بنت الذهب ويذكر أنه في وقت الربيع عقب هطول الأمطار وله ورق شبيه بالنخيل أصوله النبر [1] وتركز إنتاجه في ثلاث مناطق هي المنطقة التي تمتد بين نهر النيل والبحر الأحمر وبلاد نوبة والساحل الإفريقي الشرقي وقد كان هذا الذهب الذي يوفر المادة الاولى اصك دنانير وصناعة الصباغة التي كانت مهمة في العملية التجارية وكانت معاملها في القصور وفي الحواضر مثل أسواق الصباغة التي كانت نشطة في كل مكان ويمكن أن نميز 3 مناطق منتجة للذهب [2] أولا المنطقة الممتدة بين نهر النيل والبحر الأحمر وثانيا بلاد النوبة وثالثا ساحل إفريقيا الشرقية غير أنه في القرن 19 اقترب المنتوج من النفاذ وقلت قيمته [3] وإضافة إلى ذلك هناك معادن أخرى مثل الفضة والرصاص والحديد الذي رغم قلته إلا أنه كانت تصدر السيوف والدروع إلى بلاد القوقاز بسبب إتقانها لأنها صناعة موروثة.[4]

---

[1] – مدرسي لومبار: الإسلام في مجده الأول القرن 8-11م (2-5هـ) تر، إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د،ت، ص 262.

[2] – نبيلة حسن محمد، المرجع السابق، ص 80.

[3] – نبيلة حسن محمد، المرجع السابق، ص 80.

[4] – موريس لومبار: الإسلام في مجده الأول، المرجع السابق، ص، ص: 298، 299.

إضافة إلى تجارة المعادن كانت بلاد السودان في تجارة الرقيق وهي وإلى وقت قريب تعد أهم مورد لهذه التجارة وقد كان العبيد من الجنسين إناثا وذكورا [1] وتعد هذه التجارة أهم حاصلات السودان وقد كان العبيد السود يجلبون من بلاد النوبة ويعبرون بهم أعالي النيل عن طريق أصوار المدخل الجنوبي لمصر ويستخدمون في خدمة المنازل والرقيق الحبشي يصدر عن طريق النيل الأزرق أو مواني البحر الأحمر إلى مصر وشبه الجزيرة العربية والعبيد الصوماليون يأتون عن طريق الزيلغ" إلى "عدن" ويوزعون في سوق "زبيد" الكبيرة أما الزنوج فيأتون من شواطئ إفريقيا الشرقية ويستغلون كيد عاملة في التجارة ويمرون إلى جزيرة "سقطرة" وإلى "عدن" حيث يحشدون استعداد الإعادة تصديرهم إلى مصر عن طريق البحر الأحمر أو إلى ما بين النهرين عن طريق الخليج وبسبب كثرتهم في الشرق الإسلامي قاموا بثورة 868-883م أما السودان الغربي فكان عبيده يمثلون (التكرور- السنغاليون)- (الصونكي-- الغانيون) و (الصنغاي من بوا) و(الصاو من الكانم) وبصدور هؤلاء العبيد إلى "نوامطة"، و"سجلماسة" ومنها يتجهون إلى المغرب الأقصى و"الأندلس" وإلى "ورجلة" و"الجريد" ثم إلى "إفريقية" و" فزان" و"طرابلس" وبرقة ومصر وباقي الشرق الإسلامي. [2] وكذلك كانت السودان تصدر المنتوجات البحرية فقد كانت مستودعا هاما لتجارة اللؤلؤ و المرجان ولها أسطول مهم للنقل وتفرض تنظيما محكما للمصايد ومراقبة دقيقة للتجار والسماسرة وأرباب الأعمال من طرف جباة الضرائب والولاة وكذلك

[1] – يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، المرجع السابق، ص 52.

[2] – موريس لومبار: الإسلام في مجده الأول، المرجع السابق، ص 299.

قشر السلحفاة الذي يصدر إلى الفسطاط والقاهرة، وكذلك العنبر المستخرج من سمك العنبر الذي يستخدم في سناعة العطور [1] إضافة إلى ذلك نذكر بعض الصادرات الأخرى مثل الذرة البيضاء (السورغو) والتي تنتج في إفريقيا الغربية وتصدر نحو النوبة ومصر العليا والواحات الليبية برقة والتل الجزائري والمغرب الأقصى[2] إضافة إلى الجمال التي كانت تستعمل في حمل المواد اتلجارية حيث كانوا التجار يغيرون جمالهم المنهكة ويشترون جمالا شابة قوية للعودة بها محملة بمنتجات السودان.[3]

2- الواردات:

أما المواد التي كانت تستوردها بلاد السودان فنذكر منها الأقمشة المختلفةن صوفية ، قطنية، حريرية وأشهرها الجوخ، الشاس واكانت تجلب من الشمال الافريقي وأوروبا إضافة إلى الأسلحة المختلفة للدفاع والهجوم مثل الدروع و الخناجر والسهام إضافة إلى مستلزمات تجهيز الحيوانات للركوب والجمل مثل السروج والأجمة وكانت المرايا والأمشاط والمواد الزجاجية تجلب من البندقية وميلانوا وبرشلونة وكذلك العطور والأدوية العشبية والبهارات ومواد الصباغة والشاي والسكر، أما الحيوانات فنجد أن بغال المغرب العربي كانت تستورد بكثرة وذلك لضخامتها ودقرتها على الكر والفر في الحروب وكان البغل الواحد يباع بين 15 إلى 20 عبد أسود في بورتو وكذلك نذكر الخضر الجافة والزيوت

[1] – المرجع نفسه، ص 282.

[2] – المرع نفسه، ص 242.

[3] – يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، المرجع السابق، ص 52.

والشحوم والزبدة والأغنام والفصح. [1] الذي يستورد من إفريقيا الشمالية بواسطة القوافل الصنهجية إلى سجلماسة والصحراء الغربية وبلاد السودان ويجب القول بأن هذه القوافل هي التي أدخلت زراعة القمح في مواسم الجفاف إلى سواحل إفريقيا الغربية بين القرن 10 و 11م.[2] إضافة إلى الملح الذي كانت بلاد السودان تحتوي على كميات قليلة مثل ملاحات Dallutfogro في داندي ونظرا لأهميته لدى أهل السودان إزدادت قيمته في اغلملية اتلجارية فأصبح يقاس بالذهب وأًبح سكان السودان يبدلون كوم الملح بكوم موازي له من الذهب ويروي لنا إبن بطوطة أن حمل الملح كان يباع بمدينة صالي بثلاثين مثقال، بل ويرتفع ثمنه إلى أربعين مثقالا ونظرا لقيمته كان على رأس الأشياء التي تهدى ، الحيث ويرسل لرئيسهم أي لرئيس عبيده مع الرسول الذي يأتي منه يحمل معه ألف كورية والكمية الواحدة من الملح والملحفة الأسود لزوجة ذاك الرئيس.[3]

ثانيا: أهم المراكز التجارية:

تتوفر بلاد السودان على ما لا يقل عن 800 مركز عمراني في الاتجاهات الطولية بين خطي عرض 17° شمالا وجنوبا وما لا يقل عن 500 مركز عمراني في الاتجاهات العرضية من المغرب إلى المشرق، وقد ازدهرت التجارة فيها وتطورت منذ القرن 19م.[4]

---

[1] – يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا العربية الإسلامية، المرجع السابق، ص 51.

[2] – موريس لومبار: الإسلام في مجده الأول، المرجع السابق، ص 242.

[3] – نبيلة حسن محمد، المرجع السابق، ص، ص 148-150.

[4] – يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 47.

وقد تنوعت مسالك التجار على حسب المكان الذي سافر منه والجهة المقصودة، فسارت القوافل في جميع الاتجاهات تحمل سلعا مختلفة في ذهابها وإيابها وكانت هذه الطرق شرايين التجارة الصحراوية وأهم هذه المراكز.[1]

1- السودان الغربي: أهمها:

تمبكتو: نشأت على يد التوارق في أواخر القرن الخامس الهجري وإسمها يعني العجوز إذ أنها في عهد الأساقيين شهدت تمبكتو حركة ثقافية وتجارية دائبة وذلك لمدة قرن من الزمن وساد النظام والامن المنطقة مما جلب إليها التجار الأفارقة والمشارقة على السواء.[2]

إذ نجد توات وعين صالح بإقليم تيدبكلت في الشمال وبين سوق تمبكتو وأسواق توات وتيدبكلت على طول الطرق قد توجد أسواق: أروان ومبروك، تيسرديسومين وأكايلي.

2- أسواق تشاد والسودان الأوسط:

ومنها سوكوتو وخاندو وكاتسا وتقليلي، أقاديسي كوكة في بورنو وأشر وماو، أقاريم وإلى شمال هذه الأسواق تقع أسواق فزان وأسواق واحات الكفرة بليبيا.

3- أسواق السودان الشرقي:

منها أسواق دارفور وكردوفان منها الغاشد، الفوجة الأوبيد، ستار، الخرطوم، دنقلة، بربارة، سواكن، سليمة، ووادي حلفة.[3]

---

[1] – فرج فرج محمود: إقليم توات خلال القرنين 18 و 19، ديوان المطبوعات الجامعية؟، الجزائر، 1977، ص 120.

[2] – عمار هلال: الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في افريقيا السوداء، الموسوعة التاريخية للشباب، وزارة الثقافة والسياحة الجزائر 1988، ص 75.

[3] – يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص، ص 47، 48.

وبسبب ان أغلب تجارة بلاد السودان الخارجية كان يسيطر عليها المغاربة من ناحية الشمال فإن أهم مراكز الانطلاق قد تمثلت في برقة حيث كانت القوافل تغادرها محملة بالبضائع نتجه نحو بيلما وصولا إلى بحيرة تشاد وقد تصل إلى بلاد البورنو والهوسا والقيروان.

كان نتيجة التجار وإنطلاقا منها نحو نكدة حيث مناجم الذهب والنحاس ومنها إلى بلاد كانوا ببلاد الهوسا وتلمسان التي يتوجه منها التجار نحو تمبوكتو وجاو.[1] وقد كانت السلع في هذه الأسواق إلى جانب التبادل العيني.

وقد كانت السلع في هذه الأسواق يتم كدلك عن طريق المقايضة وتستخدم فيها بعض العملات المحلية و المستوردة مثل عملة حديدية أشار إليها إبن بطوطة أنها منتشرة في غينيا وعملة نحاسية حمراء رقيقة وغليظة إضافة إلى الملح وقد كانت تستعمل كقطع أو مسحوق بالإضافة إلى الكوري وهي عملة فارسية هندية.

وبالإضافة إلى اللغة هي أساس النخاطب بين الشعوب والأشخاص فإن وضع اللغات في عملة التبادل التجاري في بلاد السودان مثلا لغة أزر " AZE" هي لغة المناطق التجارية، حيث كانت تجري بها المعاملات في الذهب والعبيد على سواحل السودان الغربية وهخي تشتمل على كثير من الألفاظ العربية والبربرية واللهجات السودانية خصوصا الصونكي والصوننغاي.[2]

---

[1] – عبد الرحمان عبيد الماجي: الدعوى الإسلامية في افريقيا الواقع والمستقبل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 86.

[2] – مورسي لومبار: الإسلام في مجده الأول القرن 11/8، (2-5هـ)، المرجع السابق، ص، ص 147، 148.

ثالثا: دورها في نشر الإسلام:

إنتشار الإسلام في شمال إفريقيا على يد العرب الذين قادو موجة الفتوحات التي عمت المنطقة وإختلطوا بالسكان الأصليين حتى أصبح بدورهم مسلمين وأغلبهم كذلك مع إتخاذ اللغة العربية قاسما مشتركا، ونتيجة لذلك الاختلاف ظهر لواء جديد حمل لواء الإسلام والثقافة العربية عبر الصحراء الإفريقية الكبرى والإفريقية بالكيان الإفريقي الممتد من دارفور حتى نهر السنغال يؤثر ويتأثر به اقتصاديا وحضاريا، ولم تكن الصحراء الكبرى حاجزا لذلك التواصل، فيما بين الشمال الافريقي وبلاد السودان.[1]

ويفهم من المصادر العربية الأولى أن الإسلام قد دخل إلى السودان مع القوافل التجارية التي كانت تترد ما بين المغرب وبلاد السودان وكان لأهل الصحراء الدور الرئيسي في نشره، كما سبق وأشرنا، حيث لعبوا الدور بإقامتهم للعلاقات التجارية فيما بين الشمال الإفريقي وشمال الصحراء وجنوبها وذات الأمر للسودان الغربي الذي دخل إليه الإسلام [2] بعد ما كان لقبائل الصحراء صنهاجة اللثام مدن فعالية في تديعم أسس ونشر الإسلام في المنطقة ويجعلنا نستدل بتأثر المنطقة بالإسلام هو وجود المساجد والمدارس الفقهية والعلماء .

– إذ نجد في تكرور وهي مدينة في بلاد السودان عظيمة مشهورة، أهلها أشبه الناس بالزنوج، قال الفقيه على الجنحان المغربي"شاهدتها وهي مدينة عظيمة لا سور لها وأهلها مسلمون وكفار، والملك للمسلمين، و أهلها عراة،

[1] – ضاهر الجاسم: إفريقيا ما وراء الصحراء من الاستعمار إلى الاستقلال [دراسة تاريخية]، المكتب المصري لتوزيع، المطبوعات، القاهرة، 2003، ص 34.

[2] – نبيلة حسن محمد: المرجع السابق، ص 137.

رجالهم ونساءهم إلا أشراق المسلمين" [1] والدليل الأكبر هو وجود العديد من الملوك والممالك الذين ترجع أصولهم إلى أصول عربية أمثال: (القاضي محمود كعت) الذي هو صنهاجي أو من أصل البيضان وهم "عرب شمال إفريقيا" حيث يذكر أنهم كانوا محكومين في عصر دخولهم الإسلام من قبل أكبر أمراء ليبيا.[2]

إلى جانب عدة مميزات أخرى دعمت الإسلام من هنا اهتمام المسلمين عقب الفتح الإسلامي بتطوير الطريق وتنظيمها أين ساعت هذه الخطة في الاعتناء أكثر بإزدهار وإنتشار الإسلام حتى وصل إلى بلاد الملتحمين و أودغست او بلاد السودان.[3]

ولقد حملت القبائل الافريقية راية الدعوة الإسلامية كقبيلتي التكرور وساراكولي، ولعل قيام السلطات الإسلامية غرب إفريقيا و شرفها هو أقطع دليل على انتشار الإسلام في القارة، بحيث أسلم ملك التكرور حوالي 1048م، وأسلم ملك سنغاي حوالي 1075م، وأسلم سلطان مالي كنكن موسى الذي حج حجته الشهيرة سنة 1334م، ويعود له الفضل في تخطيط تمبوكتو وعدة مدن أخرى في السودان الغربي، وقد أمر بتأسيس مسجد في كل مكان وقف فيه لصلاة الجمعة وهو ذاهب إلى الحجاز، وعلى ما يبدو فهو الذي أسس مسجد غاوو ومسجد تمبكتو الكبير.

---

[1] – أبي عبيد الله البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب جزء من المسالك والممالك، ج2،ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004، ص 359.

[2] – ظاهر الجاسم، المرجع السابق، ص 36.

[3] – نبيلة حسن محمد، المرجع السابق، ص 138.

كما لعب التجار المسلمون دورا هاما في نشر الثقافة العربية الإسلامية في إفريقيا السوداء، إذ كان التاجر المسلم داعية إلى الإسلام و بالتالي إلى الثقافة العربية.

وقد برز عدة شخصيات في هذا المجال من أهمهم أحمد الشيخ أحمدو الذي نشر الإسلام بين قبائل الفلاني واستطاع بعزمه وإيمانه من نشر الدين الإسلامي في غرب إفريقيا وغيرها من الشخصيات السودانية التي ساهمت في نشر الدين الإسلامي خاصة و الثقافة العربية عامة في غرب إفريقيا السوداء.[1]

[1] – عمار هلال: المرجع السابق، ص 25-30-42.

خاتمة:

* لعبت بلاد السودان دور هام في العملية التجارية بالقارة الإف ريقية وتنشيط التجارة العالمية وذلك من خلال إحداث مبادلات مع العديد من المناطق إنطلاقا من خبراتهم في المغرب العربي إلى إخوانهم المسلمين في شبه الجزيرة العربية إلى دول أسيوية مثل الهند وغيرها ودول أرمية عديدة وجدت في منتجات بلاد السودان ظالتها بالانجليز وفرنسا.

* يلعب الجانب التجاري موردا هاما لبلاد السودان من خلال مبادلاتها المختلفة التي تصدر من خلالها.

ما تنتجه البلاد وتستورد من الخارج المنتوجات التي لا تنتجها وبالتالي شكلت هذه الطرق والمسالك دعما للقطاع الصناعي والزراعي بالمنطقة.

* إزدهرت بلاد السودان ببعض المنتوجات: مثل الذهب الرقيق، وأهم نتيجة هو أن هذه الطرق والمسالك كانت عونا في نشر الإسلام إما عن طريق القوافل التجارية الداخلة لبلاد السودان خاصة منها القادمة من السودان الشرقي أو أثناء الفتوحات الإسلامية إذ اتخذت جيوش الإسلام هذه الطرق لفتح البلاد.

قائمة المصادر والمراجع

أ/ المصادر:

البكري أبي عبيد الله المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب جزء من المسالك والممالك، ج2، ط1، دار الكتب العلميةن بيروتن لبنان، 2004.

2- إبن بطوطة، أبي عبد الله محمد، رحلة إبن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار، ترجمة: محمد سعيد محمد الزيني، د.ط، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، د.س.ط.

3- الوزان حسن بن محمد الفاسي: ليون الإفريقي، وصف إفريقيا، ترجمة محمد الحجي، محمد الأخضر، ط2،ج1-2، مجلد 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983.

المراجع:

1- بوعزيز يحي: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجزائر، 1999.

2- بوعزيز يحي: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع العشرين، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2001.

3- حسن نبيلة محمد: في تاريخ إفريقيا الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، 2007م.

الجاسم ظاهر: إفريقيا ما وراء الصحراء من الاستعمار إلى الاستقلال [دراسة تاريخية]، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2003.

4- جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين (9-10هـ)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت.

5- زبادية عبد القادر: الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية وجنوب الصحراء، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1998.

6- زبادية عبد القادر: مملكة سنغاي في عهد الأسقيين 1493-1591م، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.س.ط.

7- فرج فرج محمود: إقليم توات خلال القرنين 18 و 19م، أطروحة دكتوراه من الدرجة 3 تاريخ ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977.

8- عمر الماحي عبد الرحمان: الدعوة في افريقيا الإسلامية الواقع والمستقبل، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر.

9- لومبار موريس، الإسلام في مجده الأول القرن (8-11)، ترجمة: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر.

10- لومبار موريس: الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرن 14، ترجمة عبد الرحمان حميدة، ط2، دار الفكر، دمشق، 1988.

هلال عمار: الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب افريقيا السمراء، منشورات وزارة الثقافة والسياحة الجزائر، 1988.

المعاجم:

12 إبن منظور: لسان العرب المحيط، م5، دار لسان العرب، بيروت، 1988